العلاقة الغصـــــــــبية بين الرجل والمرأة
في روايتي "ثلاثية المماليك وسبيل الغارق" لريم البسيوني
قراءة ثقافية

د/ أســـمـــاء إبراهيم شنقار
أستاذ النقد والأدب المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجـامـعـة الشرقية (بسلطنة عمان)
أستاذ النقد المساعد بكلية التربية جامعة دمنهور(مصر)

الملخص:

يتناول هذا البحث خطابًا من الخطابات الجمالية الروائية، التي تتسم بعيوب نسقية واضحة وتحمل بعض القبحيات الفكرية ، ورغم ذلك فقد حظيت بقبول جماهيري واسع .

يتمثل هذا الأمر في وجود علاقة مرضية قائمة على الغصبية والانتهاك بين الرجل والمرأة؛ فقد تجلى في بعض نماذجها بوضوح وجود متلازمة استوكهولم ، وفي بعضها الآخر مظاهر الإساءة الانفعالية/النفسية. وتقدَّم هذه النماذج باعتبارها رمزًا للحب المثالي الخالد؛ متقنعة في ذلك بالألعاب اللغوية والاستراتيجيات الروائية المختلفة التي تخطف الألباب مركزة على العاطفة مغيبة للعقل.

وقد حاولت في هذه الدراسة قراءة روايتي ريم البسيوني (ثلاثية المماليك وسبيل الغارق) حيث لاحظت فيهما هذه العلاقات ،محاولة في ذلك قراءتهما ثقافيًا والكشف عن هذا النسق المضمر.

وقد جاء البحث مقسمًا لأربعة مباحث؛ حيث خصصت المبحث الأول للتعريف بالروايات محل الدراسة، ثم جاء المبحث الثاني ليحدد مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها مثل :الغصبية والإساءة الانفعالية ومتلازمة استوكهولم، أما المبحث الثالث فقد خصصته لعرض مظاهر العلاقة الغصبية في هاتين الروايتين ، أما المبحث الرابع والأخير فقد خصصته للإشارة إلى كيفية تلقي القارئات لهذه الروايات ولهذا النمط من العلاقات.

الكلمات المفتاحية:

نقد ثقافي–متلازمة استوكهوم–الإساءة الانفعالية–رواية ثلاثية المماليك–رواية سبيل الغارق–ريم البسيوني

The enraged relationship between men and women In **novel "The Mamluk Trilogy and" the Way of the Drowned" by Reem Al-Basiouni (Cultural reading)**

Dr. Asmaa Ibrahim Shinkar

Assistant Professor of Criticism and Literature at the College of Arts and Humanities At A' SharQiyaH University (Sultanate of Oman)and Faculty of Education, Damanhour University (Egypt)

Summary:

This research deals with one of the narrative aesthetic discourses, which is characterized by clear stylistic defects and carries some intellectual ugliness, and yet it has gained wide public acceptance.

This matter is represented by the existence of a pathological relationship based on usurpation and violation between men and women. In some of its models, the presence of Stockholm Syndrome was clearly demonstrated, and in others, manifestations of emotional/psychological abuse. These models are presented as symbols of ideal, eternal love; It is disguised in linguistic games and various narrative strategies that capture the attention, focusing on emotion to the exclusion of reason.

In this study, I tried to read Reem Al-Baioni's novels (The Mamluk Trilogy and The Way of the Drowned), in which I noticed these relationships, trying to read them culturally and reveal this implicit pattern.

The research was divided into four sections; the first section was devoted to introducing the novels under study, then the second section came to define the concepts and terminology of the study, such as: usurpation, emotional abuse, and Stockholm Syndrome. As for the third section, I devoted it to presenting the manifestations of the usurpative relationship in these two novels. As for the fourth and last section I devoted it to pointing out how female readers receive these novels and this type of relationship.

key words:

Cultural criticism - Stockholm syndrome - emotional abuse The Mamluk Trilogy novel - the Way of the Drowned novel - Reem Al-Basiony

مقدمة:

للجمالي سحر وتأثير على القارئ لأبعد مدى، ينفذ إلى اللاوعي ويسيطر على المشاعر وعلى العقل، ثم يتحول لاإراديًا إلى قناعات وسلوكات، قد تكون الفكرة إذا طرحت نظريا دون صياغتها جماليا غير مقبولة على الإطلاق لمن يستمع إليها ، ولكنها إذا لبست رداءً جماليًا أصبحت نفس الفكرة مقبولة لنفس الأشخاص ، وهنا تكمن خطورة العديد من الخطابات التي تصاغ جماليًا وهي في أساسها تحمل قبحيات وشذوذًا فكريًا . ومن أكثر الخطابات المؤثرة والمراوغة التي تندرج تحت الجمالي هي الخطاب الأدبي الشعري منها والنثري؛ فهي تنفذ إلى عقول وقلوب جماهير عريضة بشكل لاواعي في أغلب الأوقات، فيقعوا تحت تأثيرها باستراتيجياتها وتقنياتها المختلفة الساحرة للألباب كالحبكة الدرامية والشد والجذب في الأحداث والصراع وغيرها من الاستراتيجيات التي يستخدمها الكتاب للفت انتباه القارئ وجذبه؛ فيقتنع أكثرهم بشكل لاواعي بما ليس مقبولًا بل ويساهموا في انتشاره بإقبالهم عليه. ويحمل التاريخ الفني والأدبي الأمثال العديدة لهذا النمط من الخطابات.

من هنا تأتي فكرة هذا البحث ،حيث لاحظت أثناء متابعتي وقراءتي لروايات الكاتبة ريم البسيوني وجود صورة مرضية للعلاقة بين الرجل والمرأة ،وتقدم هذه الصورة على أنها مثال ورمز للعشق ، وهنا كان لابد من التوقف عند طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في روايتين لها تحديدًا حيث تجلى هذا الأمر بوضوح شديد، وهما روايتا: أولاد المماليك ،وسبيل الغارق ؛ ومما زاد في إصراري وتعجبي في آن واحد هو وجود جمهور نسائي عريض هلل وأشاد بهذه الرواية ولم يستنكر تلك العلاقة ،وذلك يعضد كوننا أمام نسق مضمر،ويستدعي منا قراءة هذه النصوص قراءة ثقافية ؛ لذا حاولنا في هذه الدراسة قراءة وملاحقة هذا النسق المضمر والكشف عن هذه العلاقة التي تتسم بعيوب نسقية واضحة ،في حين أن الكثيرين يقبلون عليها ويتقبلونها ويسوقون لها.

وقد وجدت ذلك واضحًا من خلال لفظة (الغصبية)كمفهوم وصفة عامة يندرج تحتها العديد من السلوكات (كما يظهر ذلك من معناها اللغوي) وتصل بعض هذه السلوكات لحد

الاضطرابات والأمراض النفسية مثل (الإساءة الانفعالية –متلازمة استوكهولم) والتي استعرناها من الطب النفسي.

وقد جاء البحث مقسمًا لمجموعة من المباحث:

١- التعريف بالروايات محل الدراسة: وعرضت فيه نبذة مختصرة حول روايتي (ثلاثية المماليك) و (سبيل الغارق).

٢- مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها: وقد عرضت فيه المفاهيم والمصطلحات التي قامت عليها الدراسة وهي :

(الغصبية –الإساءة الانفعالية–متلازمة استوكهولم)

٣- مظاهر العلاقة الغصبية في روايتي (أولاد الناس–سبيل الغارق): وعرضت فيه للمظاهر المختلفة التي دللت على نمط العلاقة الغصبية في الروايتين؛ مستعينة فيه برسومات توضيحية تبين تطور العلاقة بين الشخصيات.

٤- تلقي القارئات واستجابتهن للرواية: وفيه وضحت كيفية تلقي القارئات للروايات–محل الدراسة– ولهذا النمط من العلاقات.

وأنهيت البحث بخاتمة عرضت فيه لأهم النتائج التي توصلت إليها.

وبعد فما قدمته في هذا البحث ما هو إلا قراءة ثقافية بالدرجة الأولى لنمط من الخطاب الروائي له جمهوره الواسع وله مقبوليته المجتمعية، خطاب يمارس تأثيرًا مجتمعيًا وثقافيًا ونفسيًا على المتلقي، و يكون تأثيره أكبر لو لم يفكك ويوضح مواطن الخلل فيه. وقد يأتي قارئ آخر ويقرأه بطريقة مغايرة، وهذه طبيعة النصوص فهي متعددة التأويلات.

(١)

التعريف بالروايات محل الدراسة:

١- رواية أولاد الناس (ثلاثية المماليك):[١]

تعدُّ رواية (أولاد الناس – ثلاثية المماليك) للكاتبة المصرية ريم البسيوني الرواية التاريخية الأولى للكاتبة ،سبقها روايات أخرى ذات أنواع متباينة ، وقد اكتسبت هذه الرواية شهرة وجماهيرية عريضة بين القرّاء وفي الأوساط الإعلامية أيضًا . وهي مقسمة داخليًا لثلاثة أجزاء اتخذت إطارًا تاريخيًا للعصر المملوكي في مصر منذ عصر الناصر قلاوون وحتى دخول العثمانيين مصر ، وذلك من خلال ثلاث حكايات عن عصور المماليك المختلفة، الأولى تبدأ بمسجد السلطان حسن وحكاية مشيد العمائر الذى بناها وتحكي عن شخصيتين رئيستين هما (الأمير محمد وزينب)، الحكاية الثانية كانت مع قاضي قوص الشيخ عمرو بن عبد الكريم ،و تناولت المماليك البرجية وصعود السلطان برقوق للحكم و، والحكاية الثالثة يرويها (الأمير المملوكي سلار وهند) ،وكانت عن سقوط دولة المماليك أمام العثمانيين في الشام ومقتل السلطان الغوري.

يأتي ذلك كله في إطار رومانسي تاريخي فتحمل الثلاثية ثلاث قصص حب وعشق كما سنراها من خلال تحليل الرواية.

تركز الكاتبة في الرواية على فكرة انصهار المماليك مع المصريين بشكل كبير وعلى أنهم اعتبروا مصر وطنهم عكس الكثير من الجنسيات الأخرى التي دخلت مصر، كما تسلط الضوء على العمارة في هذا العصر، وعلى قصة إنشاء الكثير من العمائر مثل مسجد السلطان حسن ،وتعطيها من خلال السرد طابعًا حيًا يتنامى أمام عين القارئ منذ بداية تكوينه كفكرة في عقل صاحبه وحتى بروزه واكتماله .

وربما كان هذا هدف رئيس للكاتبة تجلى في هذه الرواية وفي رواياتها الأخرى، عضدته بتنظيمها جولات سياحية لهذه الآثار مع بعض من قرّاء رواياتها لهذه .

ويتجلى لنا ذلك أيضًا في العتبات الأولى للرواية بدءًا من غلاف الرواية الذي يحمل صورة مسجد السلطان حسن إضافة لعمائر أخرى ،وكذلك الكلمات الأولى للرواية والتي

كتبت فيها :" على هامش الرواية استمر اسم المهندس الذي صمم وشيّد مسجد السلطان حسن في القاهرة مجهولًا حتى عام 1944م، عندما عثر الأثري حسن عبد الوهاب على نص في طراز جصي بالمدرسة الحنفية داخل المسجد يذكر اسم السلطان حسن بجانب اسم مُشيّد العمائر الذي شيد المسجد، وكان اسمه محمد بن بيليك المحسني، من أولاد الناس"[٢] وهذا المقطع السابق يجعل مركزية الأحداث ترتبط بالهدف السابق. فالعتبات تأتي كـــ "تعبير عن موقف ما، وتضطلع بدور أساسي في ولوج القارئ إلى عالم الكاتب وتوغله التدريجي فيه لأنها تحدد ملامح هوية النص، وتقدِّم عنه إشارات أسلوبية ودلالية أولية وتبني كونا تخييليا محتملا " [٣]

٢-رواية سبيل الغارق (٢٠٢٠م):[٤]

اختارت الكاتبة ريم البسيوني في رواية (سبيل الغارق) فترة تاريخية ثرية وحساسة جدًا في التاريخ المصري الحديث ، نهل منها الكثير من الأدباء وتوقفوا عندها وعند مدلولاتها وأسبابها وانعكاساتها ،وهي نهاية مرحلة الخديوي إسماعيل بما يشملها من أحداث مهمة كالديون الواقعة على عاتق مصر والمصريين والتي كانت مبررا لتدخل الإنجليز في شئون مصر ،وكذلك ثورة أحمد عرابي وضباط الجيش ، وقصف الإسكندرية من قبل الإنجليز . نستطيع أن نقول أن هذا هو الإطار التاريخي العام الذي تحركت الشخصيات في إطاره.

سلطت الكاتبة الضوء أيضًا على حدث شديد الأهمية في حياة مصر والمرأة المصرية تحديدًا وهو بداية دخول المرأة المدرسة والتحاقها بتعليم نظامي، وذلك من خلال المدرسة التي افتتحتها جشم آفة هانم زوجة الخديوي إسماعيل بأوامر من الخديوي نفسه . وهي مدرسة السنيّة(السيوفية) والتي خرّجت العديد من الرائدات المصريات مثل نبوية موسى وملك حفني ناصف وهدى شعراوي وغيرهن، وكان لهن دور عظيم في المشاركة في ثورة ١٩١٩م .

اختارت الكاتبة عرض هذا الحدث شديد الأهمية من خلال إحدى الشخصيات الرئيسة في الرواية وهي (جليلة) وكانت منطلق الأحداث في الرواية فركزت على محاولات إقناع

أسرة جليلة لإلحاقها بالمدرسة لتفتح الباب للمصريات للالتحاق بعدها، خاصة أن المصريين الأثرياء كانوا يتلقون تعليما خاصا في المنازل وكانوا يرفضون هذه الفكرة تماما فبالتالي خروجها للتعليم كان وفقا لهم سبة ونقيصة ،وكانوا يرون أن التعليم يجعل المرأة تجادل كالرجال . ركزت الكاتبة على طرح هذا الأمر من خلال مقاطع سردية متعددة منها:

-"ندمت الأم على جريمتها في حق جليلة ،وشعر الأب بخزي لا يوصف ،وتهرب من نظرات الاستهزاء من أهله حتى أنه اضطر إلى مقاطعة معظم أهله في المنوفية ،واحتمى بمباني القاهرة حتى لا يعود إلى بلاده ويدفع ثمن هوانه . هذا النوع من الطرق مختلف وموحش لا رجعة فيه، يتنفس كالصبح ولا يمكن خنقه. ليته يستطيع العودة بالأيام والوقوف أمام زوجته وأخيها ،فات الميعاد وانطلقت جليلة إلى طريق المجهول، ونشزت عن أخواتها وبنات عماتها وخالاتها وجيرانها وكل بنات مصر . من سيتزوجها؟ لا أحد .من سيحترم أبويها بعد هذه الفضيحة ؟لا أحد. أين الخديوي الآن؟ وأين زوجته المصون ؟يا ليت تقلبات الزمن تعيد الأيام وتغير المصير ولكنها لا تفعل."[٥]

-"قالت أمها يومًا إن كل بنت تعرف تصبح خطرًا على المجتمع، وكل من تدرك تصبح كرة مدفع يمكث في القلعة في انتظار من يحركه."[٦]

-"ظن الجميع أن جليلة أصبحت عارًا على الأمة والعائلة. ذهبت إلى المدرسة ثم اختارت أن تدرس فيها كالحبشيات والجواري البيض ،وكأن والدها صاحب محلات القطن يحتاج إلى مليمات المدرسة ،وكأن أمها تشحذ أمام مسجد الحسين .وكيف لبكر أن تحاور العاهرات، وتعرف منهن أسرارًا وأحوالًا لا تعرفها بنات العائلات ؟بدأ الاضطهاد لها منذ اليوم الأول ،منذ شهر طلب شريف زوج أختها الكبرى عفاف ،ألا تدخل جليلة بيته أبدًا ،ولا ترى أولاده ولا تخاطبهم إلا لو تركت هذا السوء ،وعادت إلى حضن الحق والعفة .ولم تفعل جليلة."[٧]

-"الشيخ محمد عبده يسأل عن جليلة فيرد الأب عليه: منعتها من جلستنا اليوم، ومنعتها من التدريس في السيوفية، أصبحنا سخرية الجار قبل الغريب ،ولم أعد أستطيع أن أرفع

رأسي أمام الناس. قال الشيخ في جدية :يقول علي بن أبي طالب: لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه."[٨]

يظهر لنا جليًا من خلال المقاطع السردية سابقة الذكر وجهة نظر أهلها ومحيطها في تعليم المرأة، حيث يفتِّح أذهانهن ويجعلهن قادرات على المحاورة والمجادلة ،والتي يرون أنها صفة مذمومة للنساء ،وأنها صفة ذكورية .

واستعانت الكاتبة بشخصية لها مرجعية دينية وفكرية متقبلة داخل المجتمع –نقصد الشيخ محمد عبده– لتبين للأسرة أن ابنتهم على حق وأن هذا هو الطريق السليم رغم قلة سالكيه.

احتل هذا الحدث والذي من المفترض أنه يرسم شخصية رئيسة تمثل انعكاسا بشكل أو بآخر لرائدات مصريات التحقن بالمدرسة مساحة ثلاث عشرة صفحة في بداية الرواية (ص١٩–ص٣١) ثم مقابلتها مع الصحفي المشهور الذي أعجب بمقالاتها في حدود سبع صفحات (ص٥٥–٦١)

هذا هو الجانب الثوري الرئيسي لشخصية جليلة، إضافة إلى حدث آخر مثل نقطة تحول لأحداث الرواية وهو مساعدتها للثوار من خلال إيصال رسائل ومن ثم تعرضت للمحاكمة جراء هذا الأمر وحكم عليها بغرامة مالية كبيرة.

أما بقية صفحات الرواية كاملة والتي بلغت (٤٥٣) كانت عبارة عن قصة حب حسن وجليلة وتطور هذه العلاقة –كما سنرى لاحقًا–

وهذا الأمر معهود في جميع روايات ريم البسيوني التاريخية حيث تطغى قصص الحب على الجانب التاريخي بشكل كبير حتى تنسى أنك في رواية تاريخية، وكان من الممكن استغلال هذه المرحلة التاريخية التي عرضتها الكاتبة ومحاولة إعادة كتاب التاريخ "الذي كتبه وصنعه الرجل لأنه هو من تولى كتابته "[٩] وذلك بإثبات حضور المرأة فيه وإثبات دورها ، ورغم إثبات صفة الثورية للشخصية الرئيسة إلا أنها على مستوى الأفعال متناقضة بشكل كبير ، ولا تنم عن هذه الثورية الكبيرة والثبات العظيم إلا في مواقف معدودة.

(٢)

مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها

** الغصبية:

إذا استندنا إلى المعاجم اللغوية نجد معنى الغصب كما حدده ابن منظور في لسان العرب قائلًا:" الغصبُ أخذ الشيء ظُلْمًا. غَصَبَ الشيءَ يَغْصِبُهُ غَصْبًا ،واغتصَبَهُ ،فهو غاصِبٌ، وغصبه على الشيء: قهره، وغصبه منه. والاغتصاب مثله، والشيء غصبُ ومغصوبُ .

الأزهري: سمعت العرب تقول :غصبتُ الجلدَ غصبًا إذا كددتَ عنْهُ شَعْرَه ،أو وَبَرَه قَسْرًا ،بلا عطن في الدباغ ،ولا إعمال في ندى أو بول ،ولا إدراج. وتكرر في الحديث ذكر الغصب، وهو أخذ مال الغير ظُلمًا وعدوانًا .وفي الحديث أنه غصبها نفسها: أراد أنه واقعها كُرْهًا، فاستعاره للجماعِ. "[١٠]

ويحدده الفيروزآبادي في القاموس المحيط بنفس المعنى قائلًا:" غَصَبَهُ يَغْصِبُهُ: أَخَذَهُ ظُلْمًا، كاغْتَصَبَهُ، وفُلانًا على الشيءِ:قَهَرَهُ،والجِلْدَ:أزالَ عنه شَعْرَهُ وَوَبَرَهُ نَتْفًا وقَشْرًا ،بلاَ عَطْنٍ في دِباغٍ،ولا إعْمالٍ في نَدى."[١١]

يظهر لنا من المعنى اللغوي للكلمة أن المعنى يرتكز حول أخذ الشيء ظلمًا، ومنها كما سبق وذُكر "أنه غصبها نفسها" أي واقعها كُرهًا ،وهو ما يتردد كثيرا في الروايات محل الدراسة.

ويعتبر الغصب من أسوأ أنواع الاعتداء ؛لأن فيه نوعًا من القهر ،والقهر فيه إذلال ،والعبد قد يختار الموت على أن يعيش ذليلًا .

ومن مرادفات الغصب: ابتزاز ،اختطاف ،اختلاس،انتزاع ،جور،سلب، ظلم، قهر،فشل،نهب.

و أضداده: الطوع ،أمان ،أمانة، أمن،اخلاص،اطمئنان، إنصاف، هدوء، رحمة ،شفقة...

ويندرج تحت لفظة الغصب العديد من المفاهيم ،وتتسع لتشمل أنواعا مختلفة من السلوكيات ، لا يشترط وجودها جميعًا في الدراسة ،ولكن المظاهر السلوكية الموجودة

لدينا تندرج تحتها، ويتماس معها مصطلحات أخرى نستعيرها من الطب النفسي وذلك مثل (الإساءة النفسية)و(متلازمة استوكهولم)

لذا تُحَدد الدراسة في هذه المصطلحات، ولنتبين معناها بشكل أوضح نعود إلى بعض مصادرها كما سيأتي.

** الإساءة الانفعالية / الإساءة النفسية (psychological abuse)

لا يشترط للإساءة أن تكون جسدية حتى نسميها ونعرفها بأنها إساءة ، فقد تكون الإساءة النفسية أعظم وأشد خطرًا من العنف الجسدي وذلك لأنها تدمر الذات وتدفعها للانهيار وفقد الثقة بالذات وتحميل النفس مالا تستطيع تحمله، كما أن الغالبية العظمى من المعرضين لهذا النمط من الإساءة يتغاضون عنه ويعتبرون أنفسهم المخطئين والملامين على كل شيء كما أنهم يستحقون هذه المعاملة ؛ لذا فقد تنبهت لها العديد من الدراسات النفسية وأجرت عليها دراسات متعددة خاصة في فئة النساء والأطفال لأنها الفئة العظمى التي تتعرض لهذا النمط من الإساءة .

وفي الحقيقة لا يوجد تعريف بسيط للإساءة النفسية بشكل عام، ولكن بشكل عام يعرفه الباحثون على:" أنه تدمير منهجي لتقدير الشخص لذاته و/أو إحساسه بالأمان، وغالبًا ما يحدث في العلاقات التي توجد بها اختلافات في القوة والسيطرة .وهو يشمل التهديد بالأذى أو التخلي والإذلال والحرمان من الاتصال والعزلة وغيرها من التكتيكات والسلوكات المسيئة نفسيًا . ويتم استخدام مجموعة متنوعة من المصطلحات بالتبادل مع الإساءة النفسية، بما في ذلك الإساءة العاطفية والإساءة اللفظية والقسوة العقلية والإرهاب الحميم والاعتداء النفسي."[١٢]

وكما سبق وقلنا فـــ" الإساءة تأتي بأشكال مختلفة حتى في حالة عدم وجود عنف جسدي ،فيمكن أن تكون اللغة المسيئة ضارة جدًا لكِ ولأطفالك . وتشمل الإساءة العاطفية والنفسية في الغالب السلوكات غير الجسدية التي يستخدمها المعتدي للسيطرة عليك أو عزلك أو تخويفك، وفي كثير من الأحيان يستخدمها المعتدي لكسر احترامك لذاتك و تقديرك لها من أجل خلق تبعية نفسية عليه/ عليها .

وقد يصعب التعرف على الإساءة العاطفية والنفسية ، فقد تبدأ الإساءة العاطفية والنفسية فجأة أو يبدأ المسيء في الدخول في علاقتك ببطء، كما يتصرف بعض المسيئين كشريك جيد في البداية ويبدأون الإساءة بعد إقامة العلاقة."[١٣]

ومن الجدير بالذكر أن "الأشخاص الذي يسيئون المعاملة بهذه الطريقة هم أذكياء في تصرفاتهم؛ حيث يجيدون التلاعب بك وجذبك مرة أخرى بالخير والتصرف بشكل لطيف قبل ضربك مرة أخرى بالتهديد والسيطرة ،والتلاعب الذي يتركك في دورة ثابتة (...) كما يستخدم الجناة مجموعة واسعة من التكتيكات الخفية لغسل دماغ الضحية ،ويسبب الارتباك النفسي لها ؛ مما يؤدي غالبًا إلى محاولة الضحايا بذل جهد أكبر لإرضائهم ."[١٤]

كما "تشير الأبحاث الحديثة حول الإيذاء النفسي إلى أن الدافع الكامن وراء الإساءة النفسية هو رغبة الجناة في ممارسة السيطرة على الأفراد الآخرين وتدمير شعورهم باحترام الذات.

وقد تم تصنيف السلوكات والتكتيكات المسيئة نفسيًا في فئتين هما (الإهمال والتجاهل).

يتضمن التكتيكات المهملة حجب التفاعل البشري الطبيعي أو رفض التحقق من مشاعر الضحية.

ومن ضمن هذه السلوكات/ التكتيكات: التفاعل عند الضرورة فقط ،تجاهل محاولات الشخص الآخر للتفاعل، جعل الشخص يشعر بأنه لا شيء يفعله على الإطلاق، انتقاد السلوك والسخرية من السمات.

أما التجاهل فهو التصرف كأن الشخص غير موجود."[١٥]

متلازمة استوكهولم:

مصطلح متلازمة استوكهولم "أو الترابط مع الأسير هو استجابة نفسية للأزمات، وتعتبر النساء عرضة له بشكل خاص " [١٦]وتعود قصة المصطلح لفترة زمنية أبعد من ذلك حيث " في أغسطس ١٩٧٣ م تعرّض بنك (كريديتانكين)في السويد إلى عملية سطو مسلح ، وقام سجين هارب باحتجاز بعض الرهائن لمدة ستة أيام ،انضم إليه خلالها زميل له. الغريب في الأمر أن الرهائن قد ارتبطوا عاطفيًا بمختطفيهم خلال هذه الفترة ودافعوا

عنهم بعد إطلاق سراحهم أمام القضاء. كريستين إنمارك كانت إحدى ضحايا الحادث ،أجرت مكالمة هاتفية من داخل البنك مع رئيس الوزراء تستجديه أن يسمح لهم بمغادرة البنك مع الخاطفين .وقالت ما نصه (إنني أثق بكلارك وبزميله أي(المختطفين) ،ولا أشعر بأي نوع من اليأس ،هم لم يرتكبوا أي أمر سيء معنا ، بل على العكس كانوا لطيفين جدًا معنا) ومن هنا نشأ مصطلح " متلازمة استوكهولم" الذي صاغه نيلز بيجروت Nils Bejort الطبيب النفسي والباحث في علم الجريمة، ليعبر عن الحالة النفسية التي تصيب الإنسان عندما يتعاطف مع عدوه أو مختطفه أو من يسيء إليه ،وذلك بعد دراسة حالات كثيرة مشابهة تمكن المختصون من خلالها من تقرير هذه الحالات المرضية."[١٧]

ويكشف لنا علم النفس بأن " متلازمة ستوكهولم التي تصيب الأشخاص المحتجزين كرهائن بنسبة ٨% منهم يعانون ذات الأعراض وكأنهم يعادون أنفسهم ويؤمنون بأفكار المعتدي عليهم ويتعاطفون معه ويتضامنون معه، ويدافعون عنه لفترة نتيجة الصدمة النفسية التي تعرضوا لها، ويأتي هذا التعاطف والتضامن مع الجناة بسبب فصلهم في منح الضحية والمن عليه بسير الحياة ،كأن يعطيه شربة ماء أو وجبة تنعشه من الموت جوعًا وعطشًا."[١٨]

تخضع الكثير من العلاقات لهذه المتلازمة، فنلحظ فيها نوع شديد من الإساءة ،قد تبدأ به العلاقة وقد تستمر من وقت لآخر ،ويتعجب الرائي لهذا النمط من العلاقات عن السبب الذي يجعل الضحية في هذه العلاقة أو الشخصية التي تعرضت للإساءة للإكمال في هذه العلاقة ،بل ويتعجب من كم الحب (المزعوم) في هذه العلاقة. ولكن تفسيرات هذه السلوكيات نجدها كامنة داخل هذه المتلازمة.

ومن البديهي لذي البصيرة أن وجود هذا النمط في العلاقات وانتشاره لا يعني أنه طبيعي أو صحيح، ومن الأجدر بالخطاب الأدبي أن يلاحظ مثل هذه العلاقات غير الطبيعية ولا يقدمها للقارئ كرمز للحب الخالد أو الحب القدوة أو المثالي ،لأنه ولاشك يتسرب للاوعي ويكون فيما بعد العقل الجمعي للمجتمع ،فبدلًا من أن يسهم الخطاب الأدبي في تنمية الوعي لدى القارئ يفعل العكس.

ونظرًا لملاحظتنا تواجد هذه المتلازمة في رواية ريم البسيوني (ثلاثية المماليك) على وجه التحديد؛ فقد آثرنا الإشارة إليها حتى ننتبه إلى أنه خطاب يهدم ولا يبني.

فالمتأمل في الشخصيات النسوية التي تطرحها الرواية يجدها قائمة بشكل كبير على هذه المتلازمة، فتجد المرأة شخصيتها قوية للغاية ومؤثرة وفاعلة وجريئة ، ومن ثم تتعرض للانتهاك أو الاعتداء (على اختلاف صوره) وترفض هذا الاعتداء وتصرح بذلك ، ولكن فجأة وبشكل غير منطقي تتحول هذه العلاقة- كما سنرى في النماذج التالية- بينها وبين المعتدي إلى علاقة عشق وهيام وحب ، بل ويُضرب بها المثل؟؟؟!!!

ونجد هذه الشخصيات ماثلة في رواية ثلاثية المماليك .

(٣)

مظاهر العلاقة الغصبية في روايتي (ثلاثية المماليك وسبيل الغارق)

(٣١١) رواية أولاد الناس ...ثلاثية المماليك ومتلازمة استوكهولم:

تظهر العلاقة الغصبية في هذه الرواية من خلال الحكاية الأولى مع (زينب والأمير محمد) والحكاية الثالثة مع (هند والأمير سلار)

(٣١١١١) زينب والأمير محمد:

بطلة الرواية الرئيسة في القصة الأولى في الرواية هي (زينب) وتتمثل سمات شخصيتها وفقًا للرواية في : أنها شديدة الذكاء ،خاضت غمار التعليم ، وتتصرف تصرفات الرجال وفقًا لرأي المجتمع آنذاك كما تصوره الكاتبة، حيث تراجع الحسابات مع والدها ، وهذا يظهر في المقاطع السردية التالية:

" أحمد كان شديد الطيبة والسذاجة، لم يتمرس في الحياة ،ولم يتعلم تجارة والده، حاول الأب ولم يستطع أن يسقيه العلم غصبًا وعنوة ،أما ابنته زينب فكان يجدر بها أن تكون هي الولد .ذكاؤها وفصاحتها فاقت فيهما الجميع . تعلمت وامتصت الكتب امتصاصًا، كتب الفقه والجبر وكل ما تقع عليه عيناها، فضولها وحيويتها جعلاها قرة عين والدها ، ولم تفهم أمها هذا التمرد في شخصيتها ولا تصرفات الرجال التي تتقنها، كانت تراجع

حسابات الأب وتنصحه لو وقع في مشكلة ، وكانت صديقته المقربة وهي لم تزل دون الثامنة عشرة."[١٩]

في المقطع السابق قارن الراوي بين شخصية أحمد وأخته زينب، حيث يرجح كفة زينب من حيث الذكاء والعلم والفصاحة وسداد الرأي ، إضافة إلى تمتعها بالجرأة والشجاعة ؛والتي ظهرت معالمهما حين حدثت المواجهة بين زينب والأمير محمد بعد أن استنجدت به ليخلص أخاها من يد الجندي المملوكي [٢٠]، وهنا كانت نقطة تحول في الأحداث ، حيث قبض الأمير على أخيها وعلى خطيبها وابن عمها يوسف وهو حبيبها منذ الطفولة ،ولم يتبق إلا أسبوع واحد على زفافهما.

وبعد وساطات متعددة طلب الأمير الزواج من زينب مقابل الإفراج عن أحمد ويوسف.

وكان وقع هذا الطلب وتأثيره على الجميع خاصة الأسرة مفجعًا، كما يبدو لنا من الآتي:

- في حوار بين الشيخ عبد الكريم وأبي بكر(الأب) " قال عبد الكريم: صدمني طلبه . قلت لك كل شيء تغير بعد الوباء ورحيل السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

التفت حوله ثم قال: تصرفاتك وكلماتك ستودي بحياتك أنت أيضًا.

اسمعني يا أخي. الأمير يريد الزواج من ابنتك.

كان وقع الطلب كوقع سقوط صخور من جبل المقطم على رأس أبي بكر. لم يكن فقط مفزعًا ، ولكنه كان أيضا غير مألوف .

قال أبو بكر: المماليك لا يتزوجون من بناتنا، هذا طلب غريب .

فقال الشيخ: أعرف أنه طلب غير مألوف.

- كانوا يتركوننا لحياتنا ويعيشون حياتهم، لا يتدخل أحدنا في حياة الآخر ،ندفع الضرائب ونحيا في استقرار ويدافعون عن البلاد ويحيون في قصورهم وقلاعهم خارج القاهرة. ماذا حدث؟ لماذا؟

- قال الشيخ في جدية: لا أعرف ولم أتوقع هذا الطلب.

- ابنتي مخطوبة لابن عمها. ما هذا الذل ؟ يريد أن يأخذ ابني وابنتي .أقتله بيدي هذا الأمير !

- لو لم تتوقف عن هذه الكلمات لن أساعدك ،لابد من الحكمة في هذه المواقف والجدال بالحسنى .

- ابنتي مخطوبة إلى ابن عمها ،وحفل زفافها كان سيكون اليوم .لن توافق .ولن أوافق أرمي بها إلى المملوكي."[٢١]

وفي موضع آخر يقول الأب في مرارة :" أخذوا ابني وابنتي .هو أمير واحد به كل شرور الأمراء مجتمعين . طوال عمري لا أهتم بالمماليك ولا بأمرائهم، وأحيا في سلام."[٢٢]

** رأي زينب قبيل الزواج به:

يظهر لنا رأيها من خلال المقاطع السردية التالية:

-" هذا رجل يقتل رجلًا بريئًا ليحصل على خطيبته ، ويدعي حمايتنا ، كيف لي أن أحيا تحت سقف بيته وأنا أعرف هذا."[٢٣]

-"ليس لي الاختيار؟ لم يترك لي الاختيار."[٢٤]

- "أقتل نفسي في هذه الحالة ،أو أهرب خارج البلاد ،لن ينتصر المغتصب على الخير يوسف هو كل الخير، وهذا الرجل هو ظلم كل العصور."[٢٥]

- ويكون مدار الوصف في المقاطع السابقة على الكلمات التالية:(الظلم -الاغتصاب- القتل -الشر)

وتدل المقاطع السردية السابقة وغيرها على الإكراه الذي وقع على زينب لكي تتزوج الأمير وعلى كرهها الشديد له لأنه يفصلها عن خطيبها وعمن اختاره قلبها ،وهو من أشد أنواع الغصب والإكراه ومعلوم نهي الشريعة الإسلامية عن ذلك كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم "لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك" رواه البخاري مما دفع بعض الفقهاء إلى جعل هذا الأمر من مبطلات النكاح ، وجعله بعضهم غير مبطل للعقد ولكنه معاقب عليه .

وبالتالي فهذا الأساس الذي انبنت عليه حبكة الرواية وبدايتها محرَّم شرعا وأخلاقيًا وإنسانيًا ؛وبالتالي فلا تنبني النهايات السعيدة المثالية على أساس خاو وباطل.

**بعد الزواج:

" تقوم فكرة العلاقة بين الجلاد والضحية في أساسها على نوع من العلاقة الغصبية \ الانتهاكية التي تخضع جسد الضحية وعقله لسيطرتها بتفكيك سيادته على نفسه وسلب إرادته، وتقويض ملكيته وحينما يتم ذلك ،فإن الضحية تفقد ذاتيتها وهويتها ومقدرتها على الفعل وتصبح مستلبة في عقلها ووجدانها ،ولتعميق تلك السيطرة فإن الجلاد يحول قوته اسلطته إلى رمزية وحشية في السلوك والمرئيات والمشاهدات بالإيحاءات والإشارات والضبط والعقوبة والاحتواء والمنع والإقصاء ،بينما تعبر الضحية في استجابتها بإطلاق مشاعر الخوف والميل إلى الصمت والعزلة والاستسلام ، ومصاداة الجلاد أو التمرد عليه."[٢٦] وهذا ما نجده ماثلًا في علاقة زينب بمحمد ؛ فمدار العلاقة بين زينب و الأمير محمد بعد الزواج سارت على مرحلتين :المقاومة ،الاستسلام.

مرحلة المقاومة من زينب والغصب من محمد وتظهر من خلال ثلاث صور رئيسة:

١- الغصب والإكراه (الجسدي):

يتبدى الغصب والإكراه الجسدي من خلال أمور متعددة بداية من العلاقة الزوجية التي جمعتهما منذ الليلة الأولى رغم ترجيها المتكرر له بأن يتركها تستريح في هذه الليلة .

كما يظهر من المقطع السردي التالي :" ابتعدت بعض الشيء ،وأزاحت يده بحركة لاإرادية ،ثم قالت :لو سمحت لي، أشعر بغثيان ومرض شديد ،لا أستطيع التنفس، إذا تركتني اليوم فقط ، أرجوك وأقسم لك أن أكون أفضل غدًا."[٢٧]

ولكن كلامها لم يلق أي صدى لديه ،ووصف ما طلبته بأنه مستحيل .

واستمرت العلاقة بينهما هكذا هي تعيش بلا روح وهو يجبرها باستمرار، جسدها معه ولكن روحها ملك لخطيبها (يوسف) .

ومن جهة أخرى أراد الأمير أن يتملك روحها كما تملك جسدها ويأتي ذلك أيضًا بالإكراه ، فهو لم يفرج عن أخيها وعن يوسف كما وعد ،حتى بعد أن تزوج منها .

-" خرج من الحجرة فتنهدت في ارتياح ،ودعت الله أن يذهب إلى جاريته ، ويعتقها من هوان الرضوخ والتحمل في صمت. لو تركها وحدها ولم يقترب منها تهون الحياة معه

بعض الشيء .شعرت بأنها من سجناء القلعة ،تحيا في ظلام دائم ،ولا أمل لها في النجاة .ما جعلها تكرهه حقًا هو اللامبالاة التي يتعامل بها مع المأساة التي تسبب فيها ، وكأنه بلا ضمير أو قلب ، وكأن البشر أدوات أمامه يستعملها ثم يتخلص منها. لا أفرج عن يوسف ولا عن أحمد ضحت بنفسها ولم يف بوعده . وماذا توقعت من العبيد؟ أن يتصرفوا كالأحرار ؟ أقسمت أنها يومًا ستصرخ في وجهه ،وستخبره برأيها فيه في استفاضة، ثم ستبتر جسده قطعة قطعة بسيفه .الفكرة جعلتها أكثر أملًا .أغمضت عينيها ،وابتسمت لنفسها لأول مرة وهي تتصوره مبتورًا وميتًا أمامها .وراحت في نوم عميق."[٢٨]

٢- السيطرة على الوجدان:

لم يكتف الأمير بالسيطرة على جسد زينب ولكنه أراد إحكام السيطرة عليها ، فابتزها لتترك روحها ووجدانها له ، فكان وسيلته في ذلك هي نفس الوسيلة التي تزوجها به وهي (تهديدها بأخيها وبيوسف) ، يظهر ذلك من خلال الحوار السردي التالي بينه وبينها:

-" أصدرت قرارًا اليوم بالعفو عنهما معًا. سيسعدك هذا القرار.

جلست على سريرها وعيناه لم تزل تخترق قرة عينيها ،وانشرح صدرها ،وقالت :والدي سيفرح جدا.أشكرك على كرم أخلاقك معنا.

-قال في صوت حاسم: زينب ،سأفرج عنهما غدًا بعد أن أقطع أنفيهما وآذانهما ،فالقانون لابد أن يطاع وأهلك عبرة لغيرهم .يهمني شأن هذا البلد وأريد الإبقاء عليه آمنًا دومًا.

قالت في ترج :أتوسل إليك .ليس لأبي غير أحمد.

قال وهو ينظر إلى سيفه : انقذ أحمد وأقتل يوسف ؟

أغمضت عينيها ثم قالت: أثق في عدلك.

-ماذا تتوقعين؟

قالت وهي تمسك بيده :مولاي الأمير...أتوقع كرمك .وعدت أبي أنك ستطلق سراحهما الاثنين معًا.

قال وهو ينظر إليها: و عدته أنني سأطلق سراحهما ،ولم أعده أنني لن أعاقبهما .

نظرت إليه في حيرة لا تعرف ماذا يريد ،ولا لماذا كل هذا الحقد داخل نفسه .

كانت تكرهه كرهًا لم تعتقد أنها تملكه داخل النفس .قالت في صرامة :سأفعل أيَ شيء .أيَ شيء وتنقذهما معًا .اطلب مني أيَ شيء ."[٢٩]

وبعد حوار طويل ومحاجاة بينه وبينها ،أخبرها بالمطلوب منها بعد ابتزازها ابتزازًا صريحًا كما سبق وأشرنا قائلًا : "تتركين الزمام لمشاعرك، تحبينني بقوة هاتين العينين. لو فعلت أنقذ الاثنين!

قالت دون تفكير وهي لا تفهم ما يريد منها: سأفعل.

قبّل كفها وقال: جسدك البارد ..لا أريد أن أشعر به اليوم.

قالت في حيرة : ماذا أفعل ؟ هي طبيعتي ربما .اعذرني ،ليس بيدي شيء.

ابتسم في تهكم :اتركي لي اكتشاف هذا ،لا تقاومي مشاعرك ولا تسيطري على جسدك كما تفعلين كل يوم .لو شعرت به باردًا اليوم فغدًا نهاية الاثنين بلا نقاش."[٣٠]

يظهر في الحوار السابق الذي لم يتعد خمس أسطر الصفقة غير المتكافئة والظالمة التي عقدها الأمير محمد مع زينب ،وقد استخدم في عباراته كلها أفعال آمرة وناهية فقط ، مقرونة بنتيجة شرطية في حال تحقق الفعل أو عدم تحققه .

فتأتي الأفعال الآمرة (صراحة أو فيما معناه)

((تتركين\ اتركي) – (تحبينني\ أحبيني) –اتركي) والناهية في (لا تقاومي– لا تسيطري) وهذه الأمور لو فعلتها تكون النتيجة مرضية وهي(لو فعلت أنقذ الاثنين)

وإذا لم تفعلها تكون النتيجة وخيمة وهي (فغدًا نهاية الاثنين بلانقاش).

استطاع الأمير السيطرة على روح وجسد زينب بالتدريج ، رغم أنها كانت تتعذب في البداية، وتلوم نفسها باستمرار وتقنع نفسها بأن ما فعلته كان تضحية من أجل أحمد ويوسف [٣١] وظلت تصارع [٣٢]التناقضات داخلها بشكل مستمر .

يظهر ذلك في العديد من المقاطع والحوارات السردية ،نذكر منها على سبيل المثال حوار بينها وبين فاطمة قريبتها حيث : " قالت في عصبية : ليس بيدي ،لا أعرف ماذا حدث لي، هددني في البداية ، يده على جسدي وفمه ولمساته .هو شرير ،روحه شريرة .لا أصلح ليوسف، لم أعد أصلح ليوسف، حاولت ولم أستطع ،كان ينتصر كل مرة (.....)

قالت في تأكيد: ليس زوجي، ولن يكون زوجي هذا المملوكي أبدًا .وأنت تعرفين ،فرّق بيني وبين من أحبُ، وخطفني غصبًا وابتزازًا ، لن يكون زوجي يومًا."[٣٣]

٣- الزَّجُ بها في السجن:

لم يكتف الأمير بالسيطرة على الجسد والوجدان، ولكن على العقل والرأي أيضًا ، ويظهر ذلك حينما اعترضت زينب على وجود جارية بعينها داخل القصر ،ورأت ضرورة طردها وخيَّرت الأمير بينها وبين الجارية، واشتد الحوار بينهما ،وتفوهت زينب بكلمات لم تعجب الأمير ،وصرحت برأيها في المماليك ، فصفعها على وجهها ، وحبسها في سجن داخل القصر.[٣٤] كنوع من أنواع التأديب لها على مخالفتها رأي الأمير والرد عليه، يظهر ذلك من المقاطع السردية التالية:

-يقول لها الأمير محمد :" تحتاجين إلى وقت لفهم حجم خطيئتك ،ثم دفع ثمنها .هنا في الروضة سجن خاص بي ،به بعض الحجرات العفنة التي لا ترى الشمس ، وبعض الحجرات المشرقة للسجناء الشرفاء المهمين مثلك ومثل عائلتك ،سأتركك فيه بعض الوقت، ثم أبتُّ في أمرك ،وأقرر كم جلدة تستحقين على كلماتك."[٣٥]

ولاشك أن مشاعرها داخل السجن ستكون ممتلئة بالغضب والسخط تجاهه كما يبدو لنا من المقاطع التالية:

- " دفنت رأسها بين يديها وهي تلعن اليوم الذي ولدت فيه، والذي ضحت فيه بنفسها لتنقذ كل الرجال في العائلة ،واليوم الذي أصبحت فيه تحت رحمة هذا المملوك .صدق يوسف عندما قال:إنهم قتلة وفجار، وإن التخلص منهم واجب مفروض ،لو ثار العامة، لو ثار العلماء، لو ثارت هي أولًا. دقت على الباب في يأس،وصرخت بكل الشتائم التي تعرفها ،سبته وسَبّت المماليك وكل البلاد، وعندما هدأت واستلقت على الأرض لامت نفسها .ليس لأنها فقدت أعصابها وسبته ،بل لأنها لم تفقد أعصابها منذ البداية وتسبه في الحارة أمام رجاله ،فيقتلها على الفور ،وتنتهي قصتها وتذله ،كان لابد أن تذله."[٣٦]

٤- الاستسلام :

ظلت الكاتبة لأكثر من مائة صفحة تبين العلاقة(الغصبية \ الانتهاكية) بين زينب والأمير محمد بما يشملها من عنف جسدي وإساءة نفسية وحبس وغيرها من المظاهر التي سبق وبيناها ، وركزت كثيرًا على كره زينب له واشمئزازها منه ، ولكن بعد حادثة السجن الذي حبسها فيه وذلك يعد مظهر متطرف وشاذ إلى حد بعيد ، أظهرت استسلام زينب للأمير خوفًا من الرجوع للسجن مرة أخرى ، وبدأت تعتاد على هذه الحياة وتحبها

، ومن هنا انقلبت كل العبارات المستخدمة من كره شديد وبغض إلى محبة و رغبة في العطاء، من رجل تكرهه زينب ويستحق القتل والتقطيع إربًا إربًا إلى رجل يستحق الحب[٣٧] وأفضل زوج في كل البلاد[٣٨]

ويظهر ذلك في الكثير من الجمل والعبارات ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-"كانت تختبئ كثيرًا وراء باب أو شرفة لتسمع صوته وتخمد إلحاح القلب والتوق إلى ريحه حولها.."[٣٩]

-"تهاوت أمامه وتهشم الوجدان ،كانت حياتها معه من قبل حيرة وخوفًا ثم أصبح عشقًا واندثارًا من احتمال الفقد والموت ،الموت الذي حرمها من أخواتها ثم والدها، لم تكن متأكدة من القدرة على العيش بعد موته، والشعور به قطعة منها بداخل روحها، حطم حاجز الزمن وأخرج كل التوق المخضب بالمرارة ،قال من جديد :زينب ، ماذا بك؟ لم تكن تعرف أن الحب يمكن أن يشق النفس هكذا ،ولا أن الخوف يذهب العقول ،ويغرس اللعنات في القلب.

قالت في حزن وهي تقبل صدره: أحبك. -ولم البكاء ؟أنا معك.

أحاطت رأسه بيديها كي تتأكد من أنه معها ،ومن أنها لم تفقده ،ومرت بيدها على لحيته ،ثم قالت لابد أن تعدني..."[٤٠]

يظهر من المقطع السردي السابق التعلق الشديد الذي ألمَّ بزينب تجاه الأمير محمد وخوفها من أن تفقده مثلما فقدت أخوتها من قبل ، بالإضافة إلى تصريحها لأول مرة داخل الرواية بمحبتها له، وهذه المشاعر لا تتأتى إلا بعد محبة شديدة ، والخوف من الفقد مرحلة متقدمة للحب ، وهذا في حد ذاته – من وجهة نظري- خلل في الشخصية نفسها وتحول سريع وغير منطقي لشخصية زينب ، وهو ما يؤكد إصابتها بمتلازمة استوكهولم ومن اللافت للنظر أن شخصية (زينب) يتسرب إليها بعد حبها للأمير شعور (بعدم الاستحقاق) فتقر بأنها لا تستحق محبته وأنه أفضل منها بكثير ووجودها معه نعمة كبرى ،كما يظهر في المقطع السردي التالي:

" مولاي الأمير، أيقنت اليوم أنني لا أستحقك ، من أنا بالنسبة إليك؟! أنت كل ما أحلم به ،أريد أن أقضي حياتي أنظر إليك ،وأملأ قلبي من وجودك."[٤١]

يمكن تلخيص مدار العلاقة بين زينب والأمير محمد في الشكل التالي:

زينب

الأمير محمد

الاشتباك الأول بين الشخصيتين

(تمثل في استنجادها به لإنقاذ أخيها وخطيبها من يد جنوده)

↓

بداية الغصب والإكراه

(بإجبارها وإجبار أهلها على زواجها منه مقابل الإفراج عن ابنهم وخطيبها)

↓

زواج الأمير محمد بزينب بالإكراه

↓

بعد الزواج

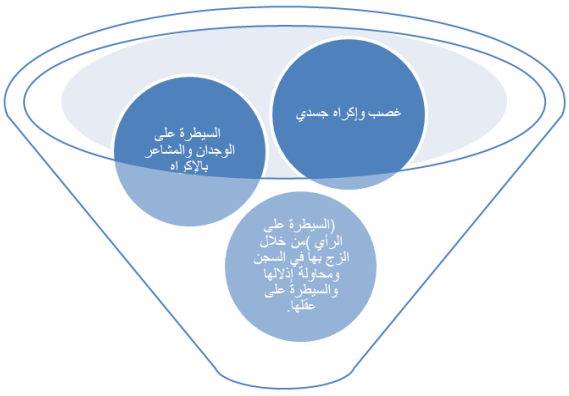

استسلام زينب لمحمد

تحول الغصبية لعشق وهيام

(٣١١١٢) هند والأمير سلار:

ترسم الكاتبة شخصية هند بنفس سمات (زينب) في الحكاية الأولى ، والأمر لا يقتصر على سمات الشخصية فقط بل وتحولاتها ، كذلك حبكة السرد خاصة فيما يتعلق بعلاقة هند وسلار ،لدرجة تكرار جمل متعددة في الحكايتين.

تتسم (هند) كما تصف نفسها في بداية السرد (حيث جاء السرد هنا على هيئة شهادات للشخصيات الرئيسة):" كنت أقضي يومي في بيتنا أقرأ الحديث وأتفقه فيه، وأشغل نفسي بالمعرفة ،ولا أتمنى الزواج أبدًا، فلم أكن أحب فكرة البيت والأولاد ،وكنت أخاف من انقلاب الأحوال وزوال النعم ، ورأيت الأمهات الثكالى والزوجات الباكيات على زوج مات أو قتل أو فضل جارية رومية أو تركية .قررت أن أهب عمري إلى العلم والمعرفة، وأبي كان يعرف ولم يرغمني على الزواج ،بل أحيانًا كنت أشعر أنه معجب بشجاعتي وثباتي أمام الناس ورغبتي في حفظ الحديث وتعليمه حتى أتممت عامي التاسع عشر بلا زوج ."[٤٢]

يتبين لنا من المقطع السردي السابق وغيره من المقاطع أن شخصية (هند)تتميز بالقوة والشجاعة والثبات إضافة إلى شغفها بالعلم ، لدرجة أنها وهبت نفسها له. وهي نفس صفات (زينب) في الحكاية الأولى ، وهي صفات لا تقبل الهزيمة بسهولة ويكون لديها قدر كافي من الثبات والقدرة على المواجهة .

تبدأ الحكاية حينما تُختطف (هند)و أخاها الصغير من قبل الجنود العثمانيين ، ويهبُ (حسام الدين\سلار) لنجدتها ويدفع للجنود مالا مقابل أن يحرروها ، ولكنه بدل أن يرجعها لبيتها يأخذها أسيرة لديه في بيته ، ويجعلها جاريته ،ويجبرها على العمل الشاق ، ومن ثم يجبرها على إقامة علاقة معه ، ولا تفلح كل توسلاتها أمامه ، وكالحكاية الأولى تقاوم بثبات شديد ، وتكرهه وتعبّرُ عن ذلك بعبارات قوية- كما سنرى- ، ولكنها بعد ذلك تستسلم له ويخضع قلبها له أمام قبلاته وعلاقته معها ، كأنها غانية يسيطر عليها هذا الأمر فحسب ، وتتحول هذه العلاقة مع الوقت إلى علاقة هيام وعشق لا مثيل له ، كالحكاية الأولى .

** العبارات الوصفية قبل وقوع هند في الحب:

١- " هويت إلى أرض الحجرة وقلت: أخي ،أنا لست جارية ،لعن الله من يخطف مسلمة ويجعلها جاريته، هذا لا يحدث في مصر، لم يستعبد أحد المصريين .

قال بلا أدنى تأثير: يحدث من اليوم ،لم أخطفك، بل جازفت لإنقاذك ،تذكري ،ودفعت فيك الكثير ،تطيعين كل أوامري من اليوم ،وتنسين كل حياتك الماضية وإلا استعملت السوط لتأديبك ."[٤٣]

٢ -" وضعت يدي على فمي وجسدي يرتجف في قوة ، قام في هدوء وأمسك بذراعي ،شدَّني فصرخت رغمًا عني ،فكتم فمي بيده ،ودفع بي إلى فراشه ، حاولت المقاومة دون جدوى ،صارعته بيديَّ وذراعيَّ، بقدميَّ وساقيَّ، بأسناني وقلبي ...ركلته بساقي ،ولكنه بعد برهة سيطر علي تمامًا ،وأصبح جسدي مختنقًا يكاد يموت تحت جسده، وعرفت أنها النهاية ...."[٤٤]

٣-"كنت أكرهه بطول النخيل وعمق النهر، ومع أنه أنقذني فإنني كنت أجد خِسَّة فيما أراده مني وما كاد يُقدم عليه. تعرفين يا عمتي لو طلب منك أحد أن تمزِّقي جلدك كله وتلصقي بلحمك جلدًا آخر وقال هذا قدرك وهو أهون من غيره، فما ذا ستفعلين ؟ كنت وحيدة أبوي ومدللة وسعيدة في بيت والدي بين إخوة وأهل كرام، والآن أصبحت تحت رحمة هذا الفلاح وأهله الجهلاء ."[٤٥]

٤-" ثم أكملت بصوت خافت لنفسي :أنت أحقر من كل العثمانيين مجتمعين ،أنت تنتصر على امرأة حرّة لتجعلها أمة كُرهًا وغصبًا ،تنقذها لغرض في نفسك ...كرهي لك ليس بعده كره ،سأذبحك بيدي يومًا، وسأشق بطنك وأنت حي ،وآكل كبدك كما فعلت هند ،ولكنني سآكلها أمامك وأنت حي ،لن أنتظر حتى تموت."[٤٦]

٥-" سأدعو عليك في كل صلاة ، والله يسمع دعائي ،ظلمتني وأجبرتني وجعلتني غانية ،وأنا حرة عفيفة."[٤٧]

٦-" لا أعرف كيف أصف كرهي له يا عمتي ،تعرفين كانت هناك آلام الجسد التي تشفى مع الزمن، وكان هناك آلام النفس التي تبقى وقهر الروح الذي يدوم. يا عمتي لا أعرف

ماذا أقول ...في كل مرة يعاشرني رغمًا عني يقتل نفسي أو يكاد ،ثم أظن أن المرة القادمة أفضل لأن النفس ماتت فتبعث لتموت مرة ومرات. سامحيني ،ربما أبالغ ،وربما تقولين في نفسك إن مصيري مصير الكثيرات ،وإن هذا ليس بأبشع مصير، ولكنني كنت هند، مختلفة عن كل البنات، ربما وعزة نفسي وكبريائي أهمُّ ما فيَّ."[٤٨]

٧-"ياليتني كنت أملك سكينًا حينها لأغرزه في قلبه وأشرح له لماذا قلت في مرارة :تكرهني على ما لا طاقة لي به، حتى الحيوانات يرحمونها ولا يرغمونها ،لا أدري لو عددتني حمارك ربما لن تقسو هكذا."[٤٩]

٨-"لو توقفت عن المقاومة واستسلمت كالجواري فلابد من موتي ،أفضل الموت على الاستسلام."[٥٠]

٩-"أقسم لك يا عمتي إن الموت لم يعد يخيفني ،وإنني تمنيت أن يريحني من عذاب ومهانة يجعلان للعيش طعم الروث الذي لم يترك فمي."[٥١]

١٠-" فعل ما فعل وأنا أقاومه يا عمتي، والنفس تنوح على قهرها في صمت ولم يبال .ابتعدت عنه واحتضنت نفسي."[٥٢]

١١-" كل هذا الذل ،كنت مدللة وسيدة، لم فعلت بي هذا."[٥٣]

١٢-"قلت: يا إلهي ..لماذا؟ ما الذي تكسبه من ذلي وهزيمتي ؟! هي تطيع كل أوامرك. لو أخبرتها ألا ترهقني في العمل لإطاعتك ،ولكنك طلبت منها أن تعطيني العمل الشاق. من البداية منذ أول يوم ..لماذا ؟ألست إنسانة مثلك ؟ألست من بلادك ؟لم تفعل هذا؟ بل أعرف. يارب كيف يمكن أن تكون بهذا الـــ... كنت أنوي أن أغرقه بالشتائم ،أريد أن أقول :إنه خسيس شرير لئيم طاغ وظالم .."[٥٤]

يظهر لنا من كل العبارات و الحوارات السردية السابقة أن مدار العلاقة بين (هند و حسام الدين\اسلار) حول مجموعة من الدوال وهي: الخطف- الاعتداء -الظلم - القهر- الغصب-الانتهاك -الهوان -الهزيمة.

وكانت صفاته من وجهة نظرها هي(الظالم- خسيس -لئيم-شرير-الطاغي-الشيطان)

أما إحساسها وشعورها تجاه نفسها ،فقد شعرت بأنها بعدما كانت مدللة عزيزة كريمة أصبحت مهانة ذليلة مهزومة ، منتهكة الجسد والروح .

وكانت العلاقة بينهما قائمة على المقاومة من جهتها والإخضاع من جهته ، ووصلت لدرجة تفضيلها طعم الروث في فمها والموت على علاقتها معًا .

وُصف حسام الدين\اسلار من قبل هند بالشيطان في صفحة ٦٢٩، وفي صفحة ٦٣٢ أي بعدها بصفحتين فقط ، تحولت العلاقة بشكل غير منطقي ،تقول هند:" تظاهر كل منا بالنوم .وتظاهر هو بالنوم لا أعرف لماذا، وتظاهرت أنا بالنوم حتى أقي نفسي شرها .ندمت على تلبية ندائه وعلى النوم بين ذراعيه...فكيف ألقي بنفسي في صدر الغواية ثم أطلب النجاة ،هو الحنان ما أبغي واليد الشافية ما أريد ،حسام الدين يتقن الظلم والحنان ،وعندما يمتزج الاثنان في صدر رجل واحد وعصر واحد ودار واحدة وبلدة واحدة يصاب العقل بالجنون ،وتصبح المقاومة كزبد البحر، واللمسات الحانية كتمائم السحرة تسيطر على الإرادة وتسلب العقل.."[٥٥]

تحول حسام الدين\اسلار إلى (اليد الحانية–الشافية–يتقن الظلم والحنان)[٥٦] ،وهذا التحول في العلاقة والتشابك في المشاعر الذي حدث مع هند\المغتصَبة \المُعْتَدى عليها\\المُنْتَهَكة الجسد والروح .

حاولت الكاتبة تفسيره على لسان هند قائلة: "وكأن العمر يأبى أن ينجلي، والنفس تأبى أن تسكن وترضى، ماذا أقول يا عمتي ،ظلمني وعذبني وترعرع الكره بداخلي ،وشيء آخر لا أدري ما هو ،كانت خطواته تشغلني ،وجوده حولي أو بعيدًا يملأ كل فراغ النفس ،خوف يملأ القلب ،والغضب منه يزاحم الخوف وبعض...بعض اللهفة التي أخجل من ذكرها الآن .ولا أفهمها .بعد أن نمت بين ذراعيه ،بعد أن قبلني ربما، بعد أن غاب وترك الرجل الغليظ يذلني، بعد أن نما الشك في قلبي تجاهه...بعد كل هذا اختلطت مشاعري وتشابكت.."[٥٧]

وفي موضع آخر تقول :" يا عمتي هذا العشق فوق احتمالي ،لم يعد للعيش طعم في فمي ولا لون ،وكنت قد فقدت أمي وبعض إخوتي ،وكنت عرفت أن الفقد هو بضاعة هذه

الأيام الفانية ،وأن فقد رجل ظلمني واستعبدني لابد أن يفرحني ،أليس كذلك ،ولكنه ملك القلب يا عمتي وغمر كل الحيرة والكره."[٥٨]

بعد ذلك كل المشاعر التي كانت تحكم هند– وفقًا للوصف– هي : (شوق –نشوة–لهفة)

لقد حولت الكاتبة الشخصيات النسائية القوية المتفردات في عقولهن وعلمهن ،المتميزات عن بنات عصرهن إلى بغايا تُسحرهن اللمسة والقبلة ويخضعن لها في النهاية حتى لو اعترضن عليها في البداية ،حتى ولو اغتصبن وانتهكت أعراضهن ،بل الأدهى والأمر أن تصبح هذه قصص حب ناجحة وخالدة ،وعلاقة الزوجين علاقة رائعة حتى آخر العمر .

وما هذا إلا متلازمة استوكهولم حيث تتعاطف الضحية المسلوبة الجسد والروح المسجونة في منزل (الجاني \ الظالم) معه بعد فترة من علاقتها به ،وقد تم ملاحظة هذا الأمر وتفسيره علميًا حيث "فسر الدارسون أن الضحية عندما تكون تحت ضغط نفسي كبير ،فإنها تبدأ لاإراديًا بصنع آلية نفسية للدفاع عن النفس انطلاقًا من الشعور بالاطمئنان للجاني ،لاسيما إذا أبدى الجاني حركة تنم عن الحنان أو الاهتمام ،حتى لو كانت صغيرة جدًا ،فإن الضحية تقوم بتضخيمها ،وتبدو لها شيئا كبيرًا جدًا."[٥٩]. هذا من جهة الشخصية النسائية نفسها (وهو موضوع البحث) ، ولكن لن نستطيع غض الطرف عن التناقض في شخصية (الظالم\ المعتدي) على المرأة هنا ،ولكنه في نفس الوقت (حامي لمصر كلها وبطل عظيم وشجاع ومغوار ومضحي) وهي شخصيات تاريخية معروفة ، هذا في الحكاية الأولى ، وكذلك الحكاية الثالثة ، فكيف لشخصية حسام الدين\الأمير سلار أن يتصرف كل هذه التصرفات مع (هند) ومن ثم يقول التالي:" القتال واجبي وقد كتب علي .أريد أن أحمي هذه البلاد، ولا أريد لامرأة أن يُعرِّيها جندي عثماني ، ولا تُذلُّ وتقهر ،لا أريد للصبيين العبودية ولا للرجال الموت ،يهمني أمر هذا البلد ،وأخاف من اللصوص والغزاة ."[٦٠]

أحرام على الجنود العثمانيين أن يعروا النساء المصريات ،وينتهكوا حرماتهن ، حلال ومستباح للماليك ؟ !!!أليست هذه ازدواجية في المعايير وتناقض في الشخصية ؟ هل

مقصود من الكاتبة أن تجعل الشخصيات متناقضة شاذة في طبائعها ،أم هذا خلل فني جسيم في رسم الشخصيات .

** يمكن تلخيص مدار العلاقة بين هند والأمير سلار بالشكل التالي:

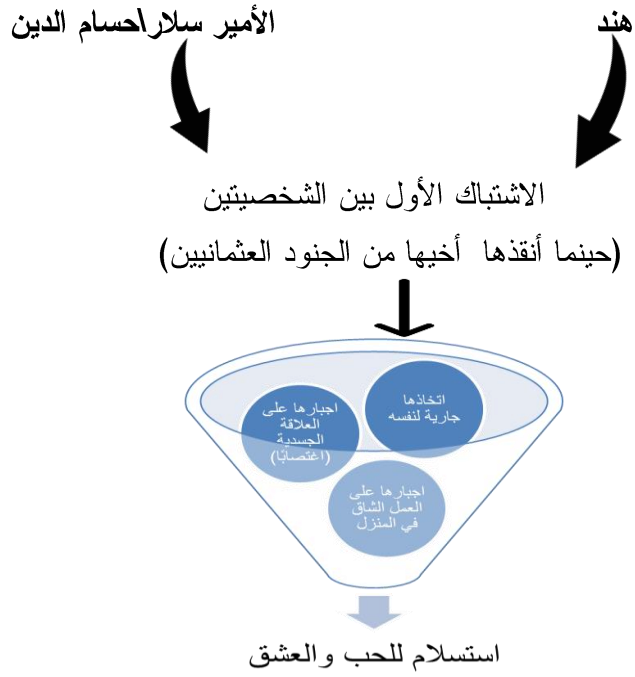

يحمل النموذجان السابقان ملامح متلازمة استوكهولم بوضوح ؛فكلاهما قائم على إجبار كل من (هند، زينب) بطرق شتى بدءا من إجبارهما على البقاء بمكان محدد (خاص بالجاني) غير مسموح لهما بالخروج منه، إضافة إلى إجبارهما على العلاقة الجسدية وهو يعتبر بلا مواربة (اغتصاب) حتى ولو كانت الأولى متزوجة؛ فزواجهما كان إكراهًا ، ومن ثم حاول الطرفان إخضاع عقليهما ومشاعرهما تحت سيطرتهما.

قابلت كلا الشخصيتين الأمر في البداية بالمقاومة الشرسة جدا ، ومن ثم تحول الأمر مع مرور الوقت إلى عشق وهيام ودفاع عمن انتهكهما بأشكال مختلفة ،ووصل الأمر لشعور بعدم استحقاق المحبة، وتعاظمت صورة (المنتهك) في عيونهما ،وتأتىَ هذا التعاطف من خلال قيام (الجناة) بسلوكيات توحي ببعض المحبة والشفقة تجاه (الضحية).

كل هذا لا يترك لنا مجالًا للشك بأننا نتحدث هنا عن متلازمة استوكهولم .

(٣\٢) الإساءة النفسية\ الانفعالية في رواية سبيل الغارق :

تصف الكاتبة شخصية جليلة والتي سبق وتحدثنا عنها في تعريفنا بالرواية بأنها (ثورية –عنيدة –تجادل كالرجال– تتأمل كثيرا وتفكر وتتحدث كالرجال) تأخذ طريقًا مختلفً تماما ونشاز عن أخواتها وبنات جيلها

"تعلمت من المدرسة ما لا يتحمله رجل ، فأصبحت تجادل وتعترض وتدعي المعرفة .ذاع صيتها كمعلمة في مدرسة العاهرات .منعها والدها من الخروج وقاتلت واستماتت ،وسلطت عليه شيخًا غير كل الشيوخ جاءها يسعى وهي طالبة."[٦١]

و"لم تكتف جليلة بالتدريس بل قررت أيضًا الكتابة باسم مستعار، وكتبت أولى مقالاتها عن تعليم النساء وعن تجربتها في المدرسة والمشاكل التي تواجه الطالبات ،ثم كتبت مقالًا آخر عن دور الأم في رعاية أولادها، وانتقدت النساء الأثرياء اللاتي يستأجرن مرضعة للأولاد ومربية ولا يقضين وقتًا كافيًا مع أولادهن ،وكتبت مقالًا ثالثًا وكان الأجرأ ،لفت أنظار الصحفيين ،وجعل أكبر الصحفيين يعجبون بها ،وكان عن حياة إحدى طالباتها التي تحاول أن تحتمي بالمدرسة من حياة الليل والفسوق مع أنها في الثالثة عشرفقط ،وكيف تجد الفتاة صعوبة في البقاء في المدرسة."[٦٢]

ومن أخص صفاتها هي ثباتها عند المواجهة وقدرتها على التحدي وعنادها ،يبدو ذلك من المقطع التالي :" كان لديها طبع غريب منذ الصغر ربما ،هذا الطبع المنفر بالنسبة لأمها هو الثبات عند المواجهة والعناد عند التحدي ،بل لطالما شعرت بنشوى الانتصار لو أثبتت للآخرين أنها أقوى مما يظنون وأعنف لو لزم الأمر. فسخرية الجميع لم تكن بالأمر السهل والتسخيف من قدراتها العقلية جعلها تتحمل في صبر الحمير. استرقت السمع لمن يتهمها بأنها رجل في زي امرأة ،وبأنها لا تغري فحلًا أو ثورًا(...) كرهتها نساء العائلة واحتقرها رجال العائلة إلا القليل .العند ليس صفة حميدة للمرأة، والزوجة العنيدة هي من تخرب بيتها بالتأكيد (...) جليلة جميلة ومع ذلك لم تستسلم لرجل ولا لعرف ."[٦٣]

هذه الصفات انهارت رويدا رويدا أما م حب خادمها حسن والذي لا يخلو من غصبية وإساءة نفسية

و قد مرَّت علاقتهما بمراحل منها:

١-علاقة (السيدة) بخادمها حسن :

علاقة جليلة بخادمها (حسن) و الذي عينه والدها ليرافقها إلى المدرسة كانت علاقة ملازمة بحكم الخدمة لها ومرافقتها إياها على مدار سنوات ،وهي علاقة قائمة على الأوامر والطاعة .

يظهر ذلك من المقطع السردي التالي" تجاهلت وجوده الذي كان يخنقها في بعض الأحيان ،ويطمئنها قليلًا في أحيان أخرى. انتهى الحديث بينهما ،ولم يكن بينهما أحاديث سوى أوامر منها من حين إلى حين،وطلبات في بعض الأحيان .لم تشعر سوى بالمظلة الزرقاء الطاغية التي تحجب حر الشمس،ولاتحجب ضوءها ،دائمًا يسير في خطى ثابتة وراءها ،وراء المسافة نفسها ،والخطى نفسها."[٦٤]

٢-علاقة الحماية:

كان حسن يحمي جليلة في مواقف مختلف من مضايقات الآخرين كمضايقات الأطفال ومضايقة الصحفي الذي قابلته جليلة سرًا ، وذلك طبعي بحكم عمله ،وعلاقته بوالدها وفضله الكبير عليه، وآثرت الكاتبة أن تعمق هذه العلاقة أكثر وتركز عليها بشكل كبير حيث حماها حين قصفت الإسكندرية واحتل هذا الحدث مساحة لابأس بها من الرواية ، ومن ثم حماها من عمها ثم تزوجها بشكل صوري من أجل حمايتها أيضًا .

٣-العلاقة الغصبية:

تظهر العلاقة الغصبية والتي تحمل مظاهر الإساءة النفسية \الانفعالية كما سبق وأوضحناها في صدر البحث ،من خلال تهديد حسن لجليلة بالرحيل إذا لم تسلم نفسها له تماما ويتحول زواجها من زواج على الورق من أجل حمايتها إلى زواج حقيقي ،وإذا لم تفعل ذلك فسيرحل عنها ويتخلى عن حمايتها ،ويظهر ذلك في العديد من المقاطع السردية منها: " نظرت إليه في عدم فهم ،وشيء من الدهشة .بدا مختلفًا اليوم لا يطأطئ

رأسه،ولايتردد،ولايحمل أي نظرة امتنان في عينيه ولا حتى سكينة ،بل كانت عيناه تتحركان في إحباط وسخط ...الكثير من السخط . أربكها غضبه وقالت في لين :حالنا بائس كلنا .أعرف ما تقاسيه مع عمي .

قال وهي ترى صدره ينبض أمامها :سأرحل

-ماذا قلت؟

-سأرحل بعد يومين .

قالت وهو يبتسم في تهكم :إلى أين ؟ وماذا يعنيك ياهانم مكان ذهابي . سأرحل ،سأترك العمل هنا وأرحل.

(...)

قالت :لن ترحل .لن أسمح لك ..تريد المال ؟تعرف أنني لا أملكه الآن ولكن لو كنت تريد المال ..تعرف الدين الذي سيزج بي إلى السجن ..تعرف كل هذا ..وتريد الرحيل ..ربما لابد أن ترحل..

لا تدري لماذا ظهرت دموع طفيفة في عينيها وصوتها ،ربما أشفقت على نفسها ،أو لعنت اليوم الذي ترجو فيه الخادم بالبقاء ويرفض.

نظر إليها ،وقبض يديه ،ثم قال تزوجتني .تتذكرين ..أنا زوجك الآن ..

-نعم كان بيننا اتفاق ،وأنقذتني من مصير تعافه نفسي

-فضلت الزواج من خادم؟

-لا أفهم قصدك.

-ثبت عينيه في عينيها ثم قال :بل تفهمين. لست هذا النوع من الأزواج .تزوجتني بإرادتك وأريدك زوجة.

شهقت ثم قالت :كيف تفكر هكذا ؟! هذا ليس الاتفاق.

-غيرت الاتفاق .لم يعد يروق لي .لن أتحمله.

-مستحيل .

هز رأسه ،وكأنه توقع منها تلك الكلمة ،ثم قال :أعرف لذا مستحيل بقائي هنا.

-لماذا؟ لا أفهم .

-غريب ألا تفهمي يا هانم مع أنك تقرأين وتكتبين وتدرسين.

-أي شيطان سيطر عليك؟ وأي زواج سيدوم بيننا؟

-معك حق. أي زواج سيدوم بيننا ،وأي شيطان سيطر عليَّ ؟أتمنى لك التوفيق سيدتي."[٦٥]

ومما يؤكد هذه الغصبية وعدم رغبتها (في البداية) في تحويل هذا الزواج لزواج حقيقي المقطع التالي:" لا تتوقع ما يطلب ولم تتصور حدوثه. كانت تريده حولها وبجانبها كما فعل طوال السنوات الماضية ،ولكن ليس كزوج .لم يهتز الزمان هكذا ؟ولم تفرز الأيام البشر فلا يخرج منهم واحد دون شر وأنانية أنانيته لا توصف .يريد نقض العهد ،وعدم الوفاء بالدَّين ،كيف لها أن تثق به؟ ربما يطلب المزيد، من يدري؟ ماذا يتوقع؟ أن تنام بين ذراعي العبد؟ ولو رحل..."[٦٦]

وكذلك:" كلما اقتنعت وهمت بالقيام والذهاب إليه تتذكر أنه الخادم الأمي، وتزجر نفسها الجامحة ،أي جنون أن تعطي نفسها للخادم حتى لا يرحل ؟ ثم ألا يستغل الخادم ظروفها ومأساتها اليوم؟ بم هدد؟ بالرحيل.أعطاها الاختيار أم أرغمها ؟"[٦٧]

-"ولكن كيف يجرؤ أن يهددها؟ بعد الاحتلال تجرأ اللصوص والشحاذون والمجاذيب."

اضطرت جليلة (وفقا للكاتبة)أن تسلم جسدها لحسن ، وكان من الممكن أن تقاوم جليلة هذا الأمر وذلك من وجهة نظري يتناسب أكثر مع طبيعة شخصيتها التي رسمتها الكاتبة في البداية .

ويدرك حسن أنها تضحي بنفسها في سبيل بقاءه ولكن لا يمثل هذا الأمر مشكلة بالنسبة له ،يظهر ذلك من الحوار الآتي:" جلست وهي تفرك أصابعها ،ثم قالت :فعلت ما تريد .جئت إليك حتى لا ترحل .

أمسك بكتفها ،وأدار إليه ونظر إليها برهة وهي لم تزل تتحاشى عينيه ،ثم قال في صوت لم تفهمه: جئت ...لتضحي بنفسك لأبقى. أعرف. (....)نظر إليها وهو ينتظر ما ستقول ،فقالت وهي تنظر إلى حجرته في شفقة على نفسها وعليه :تعتقد أنك تستطيع أن تمحو

الماضي بعد ما حدث لي تستغل ضعفي وقلة حيلتي، وتطلب مني المستحيل .وأمس صحت في وجهي وكأنك.. (...)

-قالت في رجاء وهي تزيح يده :حسن. ..لا تذلني.(...)

-اتجه إلى باب الحجرة وقال :الاختيار لك يا جليلة ..تخلعين ملابسك وتكونين زوجتي اليوم وغدا ولبقية عمرك ،أو ترحلين ولن تري وجهي مرة أخرى. (...)

-ضاقت الحجرة عليها ،وضاق العمر حولها ،حسن كان يفتح المظلة ويتقهقر وراءها ،حسن كان يتلقى ضربات السوط من أجلها ،حسن غمرها بجسده من قبل ،والدمار يضيق المسافات كاليأس تمامًا.

-قالت :ترغمني وأنت تعرف أنني لا أملك الاختيار .افعل ما شئت يا حسن وانته منه ،حتى أعود إلى حجرتي وحياتي."[٦٨]

تتغير جليلة تجاه حسن بعد أن سلمت جسدها له وتتعلق به ،كما يأتي على لسانها في الرواية : "أيقظ شوقًا كان موجودًا منذ زمن ،مختبئًا في الأعماق ."[٦٩]

ولكن حسن لا يريد أن يتحكم في جسدها فقط بل في روحها أيضًا كما في الرواية السابقة فيقول:" اليوم أصبحت زوجتي أمام المحكمة وأمام نفسك .ربما لست مستعدة بعد ،ولكن هذا لا يعنيني ،هناك واجبات على الزوجة .

نظرت إليه ،وعينها تبدو منكسرة ،فقال في رقة :جليلة ..يقسو عليك هذا الزمن .يجبرك أن تعطي جسدك للخادم .أيام غادرة ولكنه لا يريد جسدك فقط هذا الخادم بل روحك وقلبك وكل خلجاتك. هو طامع هذا العبد."[٧٠]

ورغم أن جليلة تفعل ما يطلبه حسن منها طوال الوقت إلا أن نمط العلاقة بينهما فيه إكراه و غصبية وانقلبت الآية ، فبعد أن كان هو المأمور منها أصبح الآمر، ويتبدل معها دائما من حالة لحالة عكسية فيشعرها دائما أنها أخطأت في حقه ،وهذا يظهر في العديد والعديد من المواضع نتخير منها الآتي:

١- " ارتدت ملابسها بيد مرتجفة ،وجفاؤه فاجأها .منذ لحظات كان يعشقها عشقًا لم تكن تتوقعه، لاقرأت عنه من قبل ولا تصورت أنه موجود على الأرض .كان يحبها مرة

ومرات، يضمها تارة ويعتصرها تارة أخرى في أن تذوب بداخله ،ثم تحجر أمامها فجأة .ربما فعلت ما يغضبه، ولكنها لا تتذكر أنها فعلت أي شيء يغضبه."[٧١]

٢ –"مر بأصابعه على أطراف ردائها المزينة ،ثم مرّ بكفه على خدها ،فانكمشت من خشونة كفه. قال :هي كف خشنة بعض الشيء من العمل الشاق. ستتحملينه وتتحملينه."[٧٢]

٣– " تجاهلها وقال في لهجة آمرة ..."[٧٣]

٤– " أصابت جليلة الحيرة ،تارة تظن أنه يتعمد إذلالها ويحمل مرارة الخادم وحسده ،وتارة تظن أنها حمل ثقيل عليه، فلديها دين تزداد فوائده كل يوم."[٧٤]

٥–" بلعت ريقها ،وجفاؤه يتجلى من جديد .."[٧٥]

٦– "سمعت صوته: جليلة ...تعالي هنا .قلت إني أريدك أن تنامي بين ذراعي كل يوم. كانت كلمات ربما تسعد كل نساء الأرض ،ولكنه قالها بلهجة آمرة ،وبسخطه الذي اعتادته .لم تجب. أغمضت عينيها ،وتزعمت النوم فأمسك بذراعها ،شدها إليه ،ووضع رأسها على صدره، وطوق خصرها كما يفعل كل يوم ،وأمسك بيدها ووضعها على كتفه. لم تقرر بعد ؛ هل تعترض ؟هل تترك الحجرة ؟ كيف يجرؤ أن يفعل بها ما يشاء ،وكأنه اشتراها ؟ألم يشترها ؟ألم يوقع على الدين؟ ألم ينقذها من بطش عمها؟

قالت في مرارة : لا نستطيع الاستمرار هكذا للأبد يا حسن .

–الاستمرار ؟كيف؟

–أن تتعامل معي وكأنك تكرهني ثم تتعامل مع جسدي كأنك تعشقني .الجسد والروح متلاحمان."[٧٦]

٧– " لم تود إذلالي والتحكم فيَّ؟ أعرف أنك الضامن أمام الشرطة ،وأعرف أنني بدونك كنت سأكون سجينة أو ميتة الآن ،وكنت أتمنى أن تكون كريمًا معي ولا تذلني .

لم يجب ... بعد برهة قال :هل يمكن أن ننام الآن ؟

ضربت السرير بيدها وقالت: تكلم معي لا تتعامل معي كأني لا شيء.

أحاط وجهها بيديه وقال في قوة :جليلة ...لا تأمريني ولا تتناقشي معي .

سأتكلم عندما أريد الكلام ،وعلاقتنا الآن ليست كما كانت من قبل. أنا أأمر، وأنا أنهي ،وأنا أقرر متى نتناقش،ومتى لا نتناقش. وأنا أقرر ما يمكن أن تفعليه ومالا تفعليه حتى لو صور لك كبرياؤك أنك المتحكمة في كل شيء .ما كان انتهى ،ومن اليوم تتعلمين كيف تنفذين الأوامر."[٧٧]

٨-"قال في حسم : ستتامين على مخدعي ،وبين ذراعي كل يوم .بلانقاش ولا كلام"[٧٨]

٩-"كادت تفقد عقلها وسط تقلبات مشاعره وتصرفاته. تارة يسكب حبًا لا قبل لها به أيضًا .لم تعد جليلة تعرف نفسها وهو معها .تعلقت به وخافت أن تفقده .ولكنها حنقت عليه واغتاظت من تحكمه ،وبعده النفسي عنها .أحبطها وعذبها أكثر من كل عذاب الماضي ."[٧٩]

١٠-"جلست أمامه وقالت في صوت حزين :تهددني بالرحيل طوال الوقت لأنك تعرف أني أحتاجك. وتتعامل معي كالبضاعة وليس كزوجة .ماذا تريد مني؟ ماذا تتوقع أن تحبسني وتتحكم في ؟أن أعيش معك لأني أحتاجك ؟هل ترضى بهذا؟"[٨٠]

١١-"في الصباح لم يخاطبها ،تجاهل وجودها تمامًا ،وخرج وعندما عاد فعل نفس الشيء . سألتها أمها لم ينم زوجها خارج الحجرة ،وما الذي حدث بينهما ،ولم تجب ولم تعرف الإجابة.

عندما ألحت الأم في السؤال ،قالت جليلة في حنق :ماذا تتوقعين من ابن الجارية ؟يذلني لا أكثر .

فتحت الأم فمها في ذهول ،ثم قالت :جليلة ...هو زوجك ،لا تتكلمي عليه هكذا . لم تعرف هل الغضب منه أم من نفسها ؛لأنها تركته يتملك الروح هكذا .قالت وهي تكتم دموعها :لا تعرفي مدى قسوته."[٨١]

١٢-"ودَّت لو سألته متى غضب ،ومتى هجر ،ولم عاد ؟ودت لو فهمت من يكون .

قالت في مرارة :لم أتيت اليوم ؟كنت تريد أن تكسرني أولا ثم ...."[٨٢]

١٣- "لم تنطق ،بعض الكلمات جرحتها ،وخاصة تهديده أنه سيذلها ويكسرها .فليته يساعدها على التحمل والمحاربة من أجل زواجهما ،ولكنه يعاملها بجفاء أحياناً وحذر

كثيرًا ،وكأنها آذته، واقترفت ذنبًا لا يغتفر ولا تعرفه .وفي بعض الأحيان يتدفق الحنان نهارًا وليس ليلًا فقط..."[٨٣]

١٤- قال في جفاء وتهكم :كل العالم يكترث بك يا جليلة ،فأنت محور العالم ،ولابد أن نفكر فيك، وفيما تريدين دومًا .

قالت: ماذا فعلت لأستحق هذه السخرية ؟وماذا فعلت لأستحق جفاءك؟"[٨٤]

كل الاقتباسات السابقة تدل على علاقة الغصبية بينهما والانتهاك المعنوي قبل الجسدي ،وإن كان التركيز على طريقة المعاملة والجفاء المتكرر مع إلقاء الأوامر المستمرة والصدود عنها ،ثم تأتي لحظات العلاقة الجسدية بينهما لتذيب ما حدث وكأن شيئا لم يحدث ولكن لا يلبث أن يعود سريعا كالسابق ، وهو ما يجعلها تشعر دائما أنها ارتكبت إثما ما أو خطأ لا تعرفه تجاهه ،وتعيش تحت وطأة الشعور بالذنب الذي لا تعلمه يتبدى لنا أيضا في المقاطع السردية سابقة الذكر السمات التي سبق وذكرناها الخاصة بـــ(الإساءة النفسية/الانفعالية) أبرزها :

١- التجاهل : وقد كررت هذه الكلمة العديد من المرات ؛ حيث كان حسن يتجاهلها في الكثير من الأوقات .

٢- التهديد والابتزاز: كلمة (التهديد)أيضًا جاءت على لسان جليلة العديد من المرات في حديثها عن حسن، حيث هددها منذ البداية بأن يحول زواجهما إلى زواج حقيقي أو يتركها لمصيرها تواجه مشاكلها بنفسها، وقد استمر التهديد بالرحيل كثيرا خلال هذه المرحلة .

٣- تقلبات المشاعر والتصرفات : حيث كان حسن في بعض الأوقات يتعامل معها بكل رفق وحنان (خاصة أثناء العلاقة الجسدية بينهما) ثم فجأة يتحول إلى شخص آخر ،حتى تشك جليلة في نفسها ،وتظن أنها اقترفت خطأ في حقه دون قصد أو خطأ دون معرفة.

٤- السخرية منها والتقليل من شأنها: فيسخر حسن منها ،كأن يقول لها أنت تظني أنك محور العالم وأهم شيء في العالم .

مع التنبيه أن هذه السخرية كانت في هذه المرحلة من علاقتهما تحديدًا.

وأخيرًا يجدر الإشارة إلى أن حسن حاول السيطرة على جليلة جسديًا ،ولكنه لم يكتف بذلك بل أراد – وفقًا للتعبير المستخدم في الرواية – إخضاع الروح والقلب وكل خلجاتها.

وهنا نلاحظ تكرارية نفس السيناريو كما في أولاد المماليك بحالاتها.

ووجب الإشارة أيضًا إلى أنه رغم تفوق جليلة في كل النواحي تقريبا علميا واجتماعيا وثقافيا ،ورغم هذه المعاملة الغصبية المملوءة بالإساءة النفسية إلا أن أمها حين وجدت العلاقة بينهما هكذا ألقت باللوم على ابنتها واعتبرت أن (حسن)هو المضحي في هذه العلاقة ،وأنها بلا فائدة بالنسبة له لأنها فقدت مالها وجاهها فتقول: "كل يوم تظنين أن حياتك صعبة معه بينما هو من يدفع الثمن في كل لحظة .أدركي حجم مجازفته وساعديه .ماذا يفيده في زواجه منك؟ لا مال لك الآن ولاجاه .لا يفيده سوى المشاكل .لابد أنه تزوجك لسبب قوي هل فكرت في هذا يا عالمة ببواطن الأمور ؟

قالت في تحدٍّ: ربما أراد أن يكسرني ..أراد أن يرى سيدته التي كان يهابها وهي زوجة مطيعة ،ربما يصيبه الرضا بترويضي وإذلالي .حتى المدرسة لا يسمح لي بالذهاب إليها ،ولن أرجوه لو ظن أني سأرجوه فهو واهم.

–ما دمت تتذكرين أنه كان خادمك لن تفلح علاقتكما .سيعرف وسيشعر بك .هو ليس بغبي ."[٨٥]

٤– مرحلة الاستسلام :

بعد المرحلة السابقة المملوءة بالإساءة النفسية و الغصبية من قبل حسن ،في مقابل مقاومة من جليلة إلا أنه وبشكل مفاجئ يأتي الاستسلام للحب والاعتراف به من قبلهما ،وتتحول قصتهما إلى قصة عشق وهيام وتفاهم .

تقول جليلة :"التقت أعينهما فقالت في رقة وهي تضغط على أصابعه :أحبك .وكان لابد أن أحبك منذ زمن، فأنت أفضل رجل رأته عيني ،وأكثر رجل حكمة ومعرفة عرفته طوال حياتي كلها .بل أحببتك العام الماضي والعام قبل الماضي ،أحببتك العام الماضي والعام قبل الماضي ،أحببتك منذ سنوات، لا أدري متى ..منذ تاهت نفسي كلما غبت عني ،ومنذ فزع قلبي كلما شعرت ببعدك أو حزنك. .لم أر ولم أبصر ..ولكن روحي كانت تدرك."[٨٦]

وفي موضع آخر تقول :"لا أستحق حبك .هو هدية من الله لا أستحقها ،ولكنني أريدها ،وسأحتفظ بها، وأرعاها."[٨٧]

يبدو لي من الاستشهادين السابقين إضافة إلى ما سبق واستشهدنا به في المرحلة السابقة أن هذا الخطاب شديد الخطورة ،ويخيل إلي أنه جزء من متلازمة استكهولم ولو بشكل أقل حدة ،حيث بعد الزواج بالإكراه أو التهديد بأن يتركها تواجه مشاكلها وحدها ،ثم القهر المعنوي المتكرر والجفاء والقسوة في التعامل ، ثم تأتي مرحلة تنظر فيها لنفسها بعدم الاستحقاقية ؛ أي أنها لا تستحق حبه وأنه أفضل رجل رأته عيناها وهي المثقفة المطلعة على الكثير من الأمور في الغرب وفي مصر ، العالمة بثقافات مختلفة المتفتحة الذهن الرائدة في التحاقها بالتعليم ، من أوائل من دَرسوا ودرسّوا ، ساعدت عرابي ضد الانجليز ، تعرضت للمحاكمة من قبل الانجليز ، لا نتحدث هنا عن شخصية من محض الخيال كلية ، نحن هنا نتحدث عن شخصية تحمل أطياف متعددة لشخصيات تاريخية مختلفة .

وهذا النموذج من الحب نموذج مشوه ممتلئ بالعقد والأمراض النفسية لا يتناسب مع بقية سمات الشخصية خاصة الموضوعة لجليلة ، فشعور عدم الاستحقاق وحده مع الشعور بالذنب دائما هو ينم عن انخفاض تقدير الذات ،وعن عدم الاستقرار النفسي .

** بعد اعترافات جليلة لحسن بهذه المشاعر تغيرت حالته معها كما تقول:" اختلف حال حسن معها بعد هذه المواجهة ،وتكاد تقسم أنها رأت الراحة والرضا داخل مقلتيه ،وأصبح يجلس معها كثيرًا ويتكلم ويضحك، واعتادت أن تجلس معه أحيانًا على الأرض ،وأحيانًا تجلس مع أمها على الطاولة وفي كثير من الوقت تتغدى مع أمها أولًا ثم معه مرة ثانية .عندما كان يبتسم ويتكلم كانت تدرك مدى العشق الذي تكنه له، وحاولت أن تفهم متى أحبته ،وكيف ولم تستطع .أسحر لها أم افترش ولعه فراشًا فغطى كل روحها وغمرها إلى الأبد ؟ تأقلمت مع حياتها المختلفة ووجوده يجعل للكون لونًا زهريًا غير كل الألوان ."[٨٨]

وفي حوار آخر بينهما يقولان" قالت وعيناها لا تفارقان عينيه :كنت تريدني أن أتوسل؟

قال في حزم :مازلت لا تثقين بي. لا أريد كسرك يا جليلة .فلو كسرت روحك فقدت أنا المسلك .

قالت في خجل من نفسها :اعذرني رأيت ،رأيت الكثير من النساء المحطمة ، انظر إلى أختيَّ مثلًا، وربما أحيانًا أمي.

قال في صرامة: لم أعد الخادم ،ولا أنت السيدة ،ولكني لا أريد أن أكون سيدك ،بل رفيق روحك ،لا التحام بين روحين لو كانت إحداهما تحلق فوق الأخرى وتخنقها .تفهمين؟ لتلتحم روحان لابد أن يحلقا معًا في السماء متساويتين ،بنفس السرعة وبنفس التلقائية ،بلا حواجز في سمائهما ولا ضغينة في قلوبهما. قالت وهي ترتجف من وقع كلماته :أخاف يا حسن ...أخاف أن أحبك أكثر من هذا فأتفتت كالجثث من قنابل الانجليز، وأخاف عليك..."[٨٩]

-"أحبته كل يوم أكثر ،وكلما أثبت مدى ذكائه وتقديره لها أدخل التواضع إلى نفسها التي اغترت يومًا، ولم تر ولم تعرف .كانت تنظر إليه وهو يتعامل مع الخدم وهو يتعامل مع العمال .كان يتعامل في صرامة وهدوء، لا يسب ولا يلعن ،ولا يهدد ولكنه لا يقبل الخطأ. كثيرًا ما تفحصت وجهه مع الخادمات ،وهي تلوم نفسها على الشك والهوس ،ولكنه كان جادًا وحازمًا وكأنه لا يراهن .لامت النفس على ضعفها ولامت الكبرياء على هفوتها في الحكم على حسن .تمنت طفلًا منه ولكنه سيأتي مثقلًا بدين لا يتناقص بل يزداد يومًا بعد آخر."[٩٠]

في هذه المرحلة أرجعها حسن للتدريس مرة أخرى وعادت للكتابة ،وأنصت إليها في كل مقالة تكتبها، توقفت بعدها عن التدريس لأسباب أخرى وكذلك عن نشر ما تكتبه ،واعترفت في نهاية حياتها بأنها لم تستطع تحقيق أحلامها فيما يتعلق بالكتابة والتعليم .[٩١]

ترسم لنا الكاتبة في هذه المرحلة على لسان جليلة في أغلب الوقت مدى تفرد حسن وذكاءه وقدراته الخارقة على حل كل الأمور وعلى النجاح في حياته وفي التجارة، وهو ما دفع جليلة لأن تستمر في سلسلة (اللوم والندم) لوم نفسها على سوء ظنها بحسن ، تلوم نفسها على تفسير تصرفاته معها (في البداية) بأنها تصرفات سيئة !!! فلابد أن النية كانت حسنة ،أو هي المخطئة في فهمه!!!

هذا الخطاب (المتكرر في روايات عدة) يمرر للقارئ أو القارئة تحديدا أنه لابأس أن يتعرض الإنسان للغصب والقهر والعنف النفسي أو الجسدي ، ويغفر لمن فعل معه ذلك بدعوى أنه شخص رائع به من الصفات الخارقة التي تستحق المسامحة ،أو أن هذه التصرفات ما جاءت إلا بسبب المحبة، أو أنه هو السبب في هذه التصرفات ،أو أنه لا يستحق أصلا المحبة فهو أقل من ذلك بكثير.

يساعد في تمرير هذه الخطابات وهذه الرسائل النفسية السيئة إلباس شخصية الرجل دور البطولة والتفرد في التصرفات والحنان الفياض (في بعض الأوقات وخاصة وقت العلاقة الجنسية)

وأيضا ثنائية (الشد والجذب) أو(الصد والوصل) في العلاقات والتي ممكن أن تكون عامل جذب للقارئ، ولكن هذا لا ينفي وجود سّمِّية بدرجة عالية في هذا النمط من العلاقات.

وقد يرد أحدهم مدافعًا عن هذا النمط بأنه المتداول في هذه الفترة الزمنية، وأرد على هذا من جهتين:

-أولا لم تختر الكاتبة شخصيات نمطية بل شخصيات ثورية قوية ،لا يمكن أن توافق على هذا . كما أننا لم نجد من العبارات أو التعبيرات ما يشير إلى رفض الكاتبة لهذا النمط أو حتى تلميحها بأن هذا بسبب طبيعة العصر.

ثانيا \ نحن نتحدث في هذا العصر عن إعادة كتابة التاريخ بحيث لا نغفل عن دور النساء فيه، ونبين عظم ما فعلته المرأة ، وهذا ما بدأت به الكاتبة ،ولكن لبضع صفحات ، ثم قلبته بأسوأ طريقة ولم يكن هذا في صالح المرأة ولا حتى فيصالح الرجل.

ثالثًا\ إن أردت أن أعرض لنمط العلاقة (الذي يظن البعض أنه هو المتداول) فكان من المفترض ألا يحتل كل هذه المساحة من السرد ،وألا يتكرر في روايات متعددة ، بحيث يستقر في أذهان الكثير من القراء أن هذا هو النمط الطبيعي والرائع للعلاقة بين الرجل والمرأة .

*** يمكن تلخيص مدار العلاقة بين حسن وجليلة في الرسم التالي:

(٤)

استجابة القارئات لهذه العلاقة

تحظى روايات ريم البسيوني بإقبال جماهيري كبير جدا يظهر ذلك بوضوح من خلال طبعات الكتب ،فقد تعدى بعضها العشر طبعات ، كما يتبدى لنا من وجود جمهور كبير من القرّاء والقارئات تحديدا على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي وكذلك تقييماتهم على برنامج (good reed)

ومن اللافت للنظر أن هناك تأييدًا كبيرًا لرواياتها دون نقد أو استهجان لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الروايات التي ذكرناها تحديدًا ،بل وجدنا العكس من محبة هذا النمط والترحيب به .

ومن اللافت أيضًا للنظر أن الاستهجان الذي وجدناه كان من قبل بعض من الرجال لا من قبل النساء.[٩٢]

هذه الجماهيرية النسائية لروايات ريم البسيوني تجعلنا كما يقول دا عبد الله الغذامي أمام "لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه، فالاستجابة السريعة والواسعة تنبئ عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية . وقد يكون ذلك في الأغاني

أو في الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت .كل هذه وسائل وحيل بلاغيةاجمالية يعتمد المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي ثاو في المضمر ، ونحن نستقبله لتوافقه السري و تواطئه مع نسق قديم منغرس فينا ،وهو ليس شيئا طارئًا ،وإنما هو جرثومة قديمة تنشط إذا ما وجدت الطقس الملائم."[٩٣]

والحقيقة أن نقد هذا " المستهلك الثقافي الجماهيري ذي الشعبية العريضة سيكشف لنا عن (العيوب النسقية)الخطيرة الكامنة في وجداننا الثقافي ،وسنرى (الجميل)بمعناه الآخر، أي (الشحم) داخل هذه التركيبة، ولابد أن نكشف عن حالات العمى الثقافي التي بسببها نعجب بالعيب ونطرب للخطأ ونطلبه ونسوقه ."[٩٤]

وتقبل القارئات لهذا الخطاب المعيب يساهم في انتشار هذا الخطاب وترسيخه وزراعته لدى الأجيال القادمة ويصبح التعامل معه على أنه أمر طبيعي لا ضير فيه ،وربما ساهم في تقبله لديهم تغليب العاطفة والتحولات الدرامية المختلفة والنهايات شبه السعيدة مما جعلهم يغضضن الطرف عن العلاقة الانتهاكية و الغصبية التي بدأت بها أحداث الروايات.

نخلص من ذلك إلى أن القارئات أسهمن في نشر هذه الصورة الماثلة لدينا في هذه الروايات وشاركن في "انتاجها واستهلاكها والتجاوب معها ."[٩٥] وقد يكون ذلك دون وعي من خلال الحيل الجمالية و "التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكمًا فينا ."[٩٦]

الخاتمة:

توصلت في هذا البحث إلى ثلة من النتائج ،نذكر منها التالي:

١- يظهر في رواية(ثلاثية المماليك) ملامح متلازمة استوكهولم بوضوح من خلال الحكاية الأولى والثانية؛ فكلاهما قائم على إجبار كل من (هند، زينب) بطرق شتى بدءا من إجبارهما على البقاء بمكان محدد (خاص بالجاني) غير مسموح لهما بالخروج منه، إضافة إلى إجبارهما على العلاقة الجسدية وهو يعتبر بلا مواربة (اغتصاب) حتى ولو كانت الأولى متزوجة؛ فزواجهما كان إكراهًا ، ومن ثم حاول الطرفان إخضاع عقليهما ومشاعرهما تحت سيطرتهما.

وقد قابلت كلا الشخصيتين الأمر في البداية بالمقاومة الشرسة جدا ، ومن ثم تحول الأمر مع مرور الوقت إلى عشق وهيام ودفاع عمن انتهكهن بأشكال مختلفة ،ووصل الأمر لشعور بعدم استحقاق المحبة، وتعاظمت صورة (المنتهك) في عيونهما ،وتأتىَ هذا التعاطف من خلال قيام (الجناة) بسلوكيات توحي ببعض المحبة والشفقة تجاه (الضحية).

٢- تظهر الإساءة الانفعالية في رواية(سبيل الغارق) من خلال العلاقة بين (حسن وجليلة) وكان أهم مظاهر هذه الإساءة هي: التجاهل-التهديد والابتزاز-تقلبات المشاعر-السخرية

٣- ساعد في تمرير هذا الخطاب وهذه الرسائل النفسية المسيئة إلباس الرجل دور البطولة والحنان الفياض في بعض الأوقات، وخاصة وقت العلاقة الجسدية ،إضافة لـــ(ثنائية الشد والجذب)أو(الصدّ والوصل) في العلاقات والتي تُعدّ عامل جذب للقارئ.

٤- تعدُّ هذه الروايات بأنساقها المضمرة وبكونها مستهلكًا ثقافيًا له جمهوره الواسع _خاصة من النساء اللاتي قبلن به وساعدن على نشره باستهلاكهن إياه دون استهجان للخلل الموجود به_ كاشفة عن العيوب النسقية الخطيرة الكامنة في وجداننا الثقافي ، كما أنها تكشف عن تغليبنا للعاطفة على العقل بشكل كبير في أحايين كثيرة.

[١] - ريم البسيوني: أولاد الناس(ثلاثية المماليك): نهضة مصر :الطبعة العاشرة (يوليو ٢٠٢١)
[٢] - ريم البسيوني: أولاد الناس(ثلاثية المماليك):صـ٥
[٣] -د/عبد المالك أشهبون:عتبات الكتابة في الرواية العربية:دار الحوار :سورية -اللاذقية:الطبعة الأولى2009
[٤] - ريم البسيوني:سبيل الغارق(الطريق والبحر): دار نهضة مصر:الطبعة الثانية ٢٠٢٠
[٥] -نفسه:صـ٢٢
[٦] -نفسه:صـ٢٧
[٧] -نفسه:صـ٢٨
[٨] -نفسه:صـ٣٩
[٩] -د \ عبد الله الغذامي:المرأة واللغة:المركز الثقافي العربي: الطبعة الثالثة(٢٠٠٦):صـ١٠
[١٠] -ابن منظور:لسان العرب :طبعة دار المعارف:صـ ٣٢٦٢
[١١] -مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآباديّ:القاموس المحيط:مكتبة تحقيق التراث:الطبعة الثامنة ٢٠٠٥:صـ١٢٠
[1212]- psychological Abuse-Adiscussion paper was prepared by Deborah Doherty anddorothy Berglund_public health agency of canda ,2008-page1
[13]- womens law.org (Emotional and psychological Abuse) September 8,2021
[١٤] - انظر التقرير(Psychological violence ending domestic abuse)الذي أعدته مؤسسة (Safe lives ،وهي مؤسسة خيرية على مستوى المملكة المتحدة مخصصة لإنهاء الإساءة التي يتعرض لها الأفراد خاصة المرأة.) صـ ١٤ ، من خلال الرابط التالي:
https://safelives.org.uk/psychological-abuse ، انظر أيضًا :
https://www.womenslaw.org/about-abuse/forms-abuse/emotional-and-psychological-abuse،
[15]- psychological Abuse-Adiscussion paper was prepared by Deborah Doherty anddorothy Berglund_public health agency of canda ,2008-page4\5
[١٦] -ولاء لبيب محمد دسوقي: متلازمة استوكهولم لدى المرأة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية: مجلة رابطة التربويين العرب: العدد ١٢١: صـ ٢٦٠
[١٧] - إحسان الفقيه: نصف المسافة بصائر في النفس والحياة:دار المأمون للنشر والتوزيع: الطبعة الأولى(٢٠١٨): صـ ١٥٤
[١٨] - محمد مبروك أبو زيد:ظلال العقل العربي (مسقط رأسي بين العقل والدين والتاريخ وعلم النفس): الجزء الخامس(٢٠١٩م) صـ ١١١
[١٩] - ريم البسيوني: أولاد الناس(ثلاثية المماليك): نهضة مصر :الطبعة العاشرة (يوليو ٢٠٢١): صـ ١٥
[٢٠] - انظر أولاد الناس: صـ ١٨،صـ١٩
[٢١] - نفسه:صـ ٢٢
[٢٢] - نفسه:صـ٣٥
[٢٣] -نفسه:صـ٣٣
[٢٤] -نفسه:صـ٣٣
[٢٥] - نفسه:صـ٣٥

[٢٦] - حسين نشوان: إرث الدم (العلاقة بين الجلاد والضحية):صـ٨
[٢٧] - نفسه:صـ ٤١
[٢٨] -نفسه:صـ٦٥
[٢٩] - أولاد الناس:صـ٦٧،صـ٦٨
[٣٠] - أولاد الناس:صـ٧٠
[٣١] - انظر صـ٧٩
[٣٢] -انظر صـ ٨١، صـ٨٣
[٣٣] -نفسه:صـ ٨٥
[٣٤] -نفسه:صـ٩١
[٣٥] -نفسه:صـ٩٢
[٣٦] - نفسه:صـ٩٣
[٣٧] - انظر صـ ١٢٢
[٣٨] -انظر صـ١٢٧
[٣٩] - نفسه:صـ ١٥٠
[٤٠] -نفسه:صـ١٥٢
[٤١] -نفسه:صـ١٨٦
[٤٢] - نفسه:صـ ٥٦٦
[٤٣] - نفسه:صـ ٥٧٢
[٤٤] -نفسه:صـ٥٧٧
[٤٥] -نفسه:صـ٥٨٦
[٤٦] -نفسه :صـ٥٩٠ وانظر أيضًا صـ ٥٩٣، صـ٥٩٥،صـ٥٩٨،صـ٥٩٩
[٤٧] -نفسه:صـ٥٩٧
[٤٨] -نفسه:صـ٦٠٧
[٤٩] -نفسه:صـ٦١٠
[٥٠] -نفسه:صـ٦١٠
[٥١] -نفسه:صـ٦٢٣
[٥٢] -نفسه:صـ٦٢٤
[٥٣] -نفسه:صـ٦٢٧
[٥٤] -نفسه :صـ ٦٢٨
[٥٥] -نفسه:صـ٦٣٢
[٥٦] -انظر أيضا صـ٦٣٤
[٥٧] -نفسه:صـ٦٣٤
[٥٨] -نفسه:صـ٦٨٢
[٥٩] -حسين نشوان:إرث الدم(العلاقة بين الجلاد والضحية):صـ٢٤
[٦٠] -نفسه:صـ٦٥٨
[٦١] -سبيل الغارق :صـ٢٧
[٦٢] -نفسه:صـ٣١

[٦٣] -نفسه:صـ٦٩
[٦٤] -نفسه:صـ٢٠
[٦٥] -نفسه:صـ١٩١
[٦٦] -نفسه:صـ١٩٤
[٦٧] -نفسه:صـ١٩٥
[٦٨] -نفسه:صـ١٩٨
[٦٩] -نفسه:صـ١٩٩
[٧٠] -نفسه:صـ٢٠٣
[٧١] -نفسه:صـ٢٠٤
[٧٢] -نفسه:صـ٢٠٩
[٧٣] -نفسه:صـ٢١٠
[٧٤] -نفسه:صـ٢٣٨
[٧٥] -نفسه:ص٢٣٨
[٧٦] -نفسه:صـ٢٤٠
[٧٧] -نفسه:صـ٢٤١
[٧٨] -نفسه:صـ٢٤٢
[٧٩] -نفسه:صـ٢٤٣
[٨٠] -نفسه:صـ٢٤٤
[٨١] -نفسه:صـ٢٥١
[٨٢] -نفسه:صـ٢٥٦
[٨٣] -نفسه:صـ٢٦٨
[٨٤] -نفسه:صـ٢٧٤
[٨٥] -نفسه:صـ٢٧٥
[٨٦] -نفسه:صـ٢٨٠
[٨٧] -نفسه:صـ٢٨٢
[٨٨] -نفسه:صـ٢٨٨
[٨٩] -نفسه:صـ٣٣٤
[٩٠] -نفسه:صـ٣٥٤
[٩١] -انظر في ذلك صـ٣٥١، صـ٣٨٩،صـ٣٩١،صـ٤١١
[٩٢] -انظر التعليقات الواردة في (good reads)
https://www.goodreads.com/ar/book/show/57834591
وكذلك رواية سبيل الغارق :
https://www.goodreads.com/book/show/55372880?from_choice=false&from_home_module=false
[٩٣] -د\عبد الله الغذامي: **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق العربية):المركز الثقافي العربي:المملكة المغربية :الطبعة الثالثة ٢٠٠٥ :صـ٧٩**
[٩٤] -نفسه:صـ٢٤٧
[٩٥] -نفسه:صـ٨٣
[٩٦] -نفسه:صـ٧٨

المصادر والمراجع :

أولاً / المصادر:

١- ريم البسيوني :ثلاثية المماليك: نهضة مصر :الطبعة العاشرة (٢٠٢١)
٢- ريم البسيوني:سبيل الغارق : (الطريق والبحر): نهضة مصر:الطبعة الثانية (٢٠٢٠)

ثانيًا/ المراجع العربية والمترجمة:

١) ابن منظور: لسان العرب :طبعة دار المعارف
٢) إحسان الفقيه: نصف المسافة بصائر في النفس والحياة: دار المأمون للنشر والتوزيع:الطبعة الأولى:(٢٠١٨م)
٣) إيهاب حسن: تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة : ترجمة السيد إمام: دار شهريار(العراق) :الطبعة الأولى:(٢٠١٨م)
٤) حسين نشوان :إرث الدم (العلاقة الملتبسة بين الجلاد والضحية):الآن ناشرون وموزعون:(٢٠١٩م)
٥) عبد الله الغذامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق العربية):المركز الثقافي العربي: المملكة المغربية: الطبعة الثالثة (٢٠٠٥م)
٦) سلمى البراهمة: سرديات نسوية: دار الحوار(سوريا) :الطبعة الأولى(٢٠١٩م)
٧) عبد الله الغذامي: المرأة واللغة: المركز الثقافي العربي: الطبعة الثالثة(٢٠٠٦)
٨) عبد المالك أشهبون: عتبات الكتابة في الرواية العربية: دار الحوار :سورية -اللاذقية: الطبعة الأولى (2009م)
٩) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآباديّ: القاموس المحيط:مكتبة تحقيق التراث:الطبعة الثامنة (٢٠٠٥م)
١٠) محمد مبروك أبو زيد:ظلال العقل العربي (مسقط رأسي بين العقل والدين والتاريخ وعلم النفس): الجزء الخامس(٢٠١٩م)
١١) مارك كوري: نظرية السرد ما بعد الحداثية: ترجمة السيد إمام: دار شهريار:الطبعة الثانية(٢٠٢٠م)
١٢) محسن جاسم الموسوي:النظرية والنقد الثقافي:المؤسسة العربية للدراسات والنشر: الطبعة الأولى(٢٠٠٥م)

ثالثًا/ المراجع الأجنبية:

1- psychological Abuse-Adiscussion paper was prepared by Deborah Doherty anddorothy Berglund_public health agency of canda ,2008-page1
2- womens law.org (Emotional and psychological Abuse) September 8,2021

رابعًا / المجلات العربية:

١- إبراهيم براهمي :الأنساق الثقافية المضمرة في رواية "الجازية والدراويش" لعبد الحميد بن هدوفه"قراءة في خطاب الأقوال المضمرة :مجلة الواحات للبحوث والدراسات :المجلد ١٤: العدد الثاني (٢٠٢١م).
٢- حسن بحراوي:هل هناك لغة نسائية في الآفاق: مجلة آفاق: ١٩٨٣م
٣- دنيز أدريانا أوبريا:عن النسوية (الموجة الثالثة وما بعد الحداثة):ترجمة لطفي السيد: مجلة فصول:المجلد(٣\٢٦) العدد:١٠٣:ربيع ٢٠١٨م
٤- شيماء رجب إبراهيم :النظام الزمني في الرواية التاريخية ثلاثية المماليك للكاتبة ريم البسيوني:المجلة العلمية بكلية الآداب:العدد ٥٢(٢٠٢٣م)
٥- ولاء لبيب محمد دسوقي: متلازمة استوكهولم لدى المرأة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية: مجلة رابطة التربويين العرب:العدد ١٢١

رابعًا\صفحات الانترنت:

1) https://www.goodreads.com/ar/book/show/57834591
2)https://www.goodreads.com/book/show/55372880?from_choice=false&from_home_module=false
3) https://safelives.org.uk/psychological-abuse
4) https://www.womenslaw.org/about-abuse/forms-abuse/emotional-and-psychological-abuse